الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم-

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدّراسات اللّغوية

تخصص لسانيات تطبيقية

مذكرة تخرّج مقدمة ضمن متطلبات شهادة الماستر في اللغة العربية

الموسومة بـ:

نشأة الخط العربي وتطوّره

إعداد الطّالبة:

- دليلة حجَّاج

إشراف الأستاذة الدكتورة:

مختارية بن قبلية

أ.د. مختارية بن قبلية
قسم الدراسات اللغوية
جامعة مستغانم

2022/2021

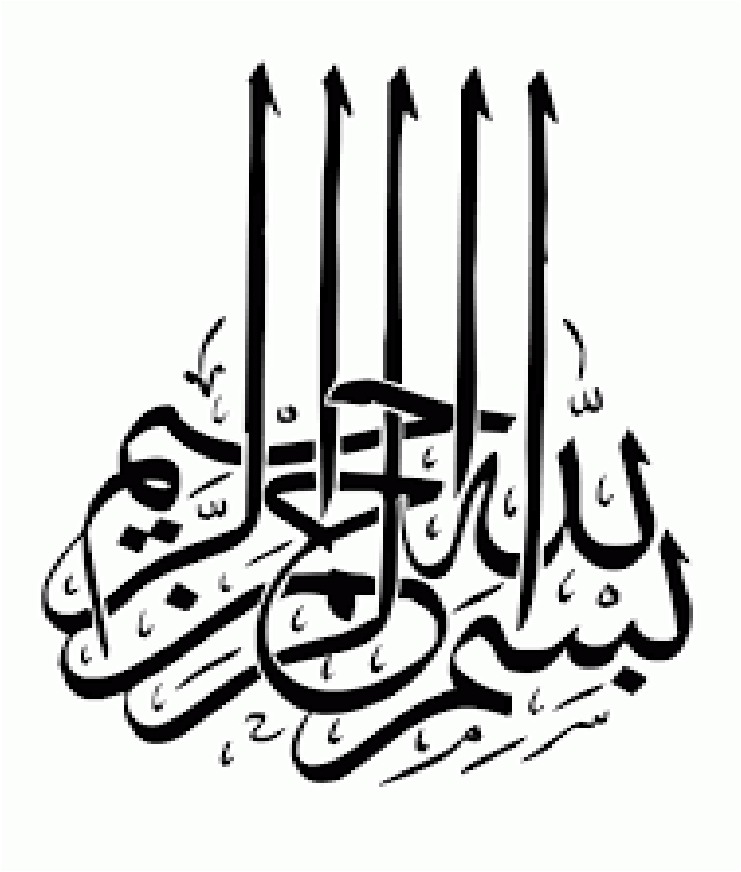
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء:

«لا يشكرُ الله من لا يشكر النّاس»، هكذا أوصانا رسولنا الكريم عن الشكر...

فكل كلمات الشكر ووافره لِمَن علمني ولو حرفًا في هذه الدنيا الفانية، إلى كلّ من دفعه كرَمُ نفسه إلى إهدائي أخطائي...

إلى عائلتي التي ساندتني ولا تزال من إخوة وأخوات... وغمرتني بعطاء حُبّها وحنانِها...

وإلى رفيقات دربي، وسيلة بصغير، وأمال مختاري، اللتين خاضتا معي هذا المضمار، وإلى كلّ نفسٍ ربطتني بها آصرة صداقة...

- حجاج دليلة.

مقدمة

مقدمة:

الخط العربي فن من فنون الكتابة، يستعمل في الزخرفة العربية، وذلك لِاستعماله في تزيين المساجد والقصور، كما يستعمل في تحلية المخطوطات والكتب، وخصوصا نسخ القرآن الكريم، فهو يمثل الركيزة الكبرى للفنون الإسلامية.

وما ذكر قد يكون مبررًا كافيًا لسبب اختياري موضوع **نشأة الخط العربي**، من أجل الغوص والوقوف على ما يحمله من غموض ووضوح.

ولعلّ السؤال المطروح الذي يدور حوله هذا البحث يمكننا إجماله في الإشكال الآتي:

كيف كانت نشأة الخط العربي؟ ومن أين أخذ أصوله؟ وهل اِتفق الباحثون على أصل نشأته؟

وللإجابة عن إشكالنا حاولنا تقسيم بحثنا إلى فصلين مسبوقين بمقدمة ومذيّلين بخاتمة، فكانت المقدمة عبارة عن تمهيد فني للموضوع، أمّا عن الفصل الأوّل فقد عنوناه بـــ: **نشأة الخط العربي**، وحاولنا تقسيمه لأربعة مباحث:

المبحث الأول: خُصص لـــ «الخط العربي بين التوقيف والاختراع»

المبحث الثاني: وضعناه من أجل التعرف على «خط المسند»

المبحث الثالث: تعرفنا فيه على «الكتابة النبطية»

المبحث الرابع: كان بمثابة التوفيق بين المبحثين الثاني والثالث وإجابة للفصل، فجعلناه يحمل «الآراء التي اختلفت حول أصل الخط العربي هل كان مولودا من المسند أم جاء من الحروف النبطية؟».

أمّا الفصل الثاني من المذكرة فأردنا أن يحمل عنوان **تطور الخط العربي**، وقد قُسم هو الآخر إلى أربعة مباحث مرتبة:

المبحث الأول: وجمعنا فيه التطور في «صدر الإسلام، والعصر الأموي، والعصر العباسي».

المبحث الثاني: وفيه جمعنا «عهود الفاطميين والممالك والأيوبيين والعثمانيين»، وشهدنا كيف كان التطور في الخط آنذاك.

المبحث الثالث: وهذا المبحث خصصناه «لجمالية خطنا العربي».

المبحث الرابع: كان عبارة عن نبذة تحليلية لبعض الخطوط العربية وقد سعينا في تحقيق هذه الخطة بإعتمادنا على **المنهج التاريخي مع الوصفي** وعلى مجموعة من المصادر والمراجع كان أهمّها:

«أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام **لخليل يحي نامي**»، وكتاب «الخط العربي وتاريخه **للدكتور محمد مرتاض**»، وكتاب «التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم **لإياد حسين عبد الله الحسيني**»، وغيرها من الكتب التي ساعدتنا في عملية بحثنا.

كلّنا نعلم حقيقة عدم خلو أي بحث من البحوث من العراقيل والصعوبات ولا ينجو من الأسباب التي تعترضه، وتحجب عنه الرؤية الصحيحة، وتقف أمامه حاجزا. إنّ أوّل ما واجهنا في منجزنا هذا هو عمق الموضوع **نشأة الخط العر**بي. والخوف من الانحياز إلى «الفنون» أكثر، لا سيما إذا كان الباحث مبتدئًا مثلنا، ناهيك عن نقص الخبرة وقلّة الممارسة.

وأيضًا من الصعوبات التي صادفناها قلة المراجع، وهذا ما أعاق عملية البحث والاطلاع الشامل على موضوعنا، ممّا يجعل الطالب خائفًا متوجسًا من التفريط في عمله، ولا شك أنّ هذا الأمر له أثر سلبي في إتمام العمل على الوجه الأكمل الذي يرتضيه المشرف.

ولعلّه من باب الإنصاف في الأخير، لا يسعني إلاّ أن أتوجه بشكري العميق للأستاذة المشرفة الكريمة، الدكتورة «**مختارية بن قبلية**» على مساعدتها لي في إنجاز هذا البحث، وعلى جميل صبرها وسعة صدرها، ونصائحها التي لم تبخل عليّ بها، وأسأل الله عزّ وجلّ أن يُجزيها عنّي خيرًا وأنْ يجعلها ذخرًا لأهل العلم والمعرفة.

-حجاج دليلة-

حرر بـــ: مستغانم بتاريخ 17 جوان 2022

الفصل الأول:
نشأة الخط العربي

توطئة:

اِختلفت وتعددت آراء الباحثين وتشعبت حول أصل ونشأة الخط العربي، وانقسمت تلك الآراء إلى وجهات نظر وظهرت نظريتان؛ كل نظرية خطّت خطًا مغايرًا عن أختها، ولم يقف الاختلاف في الأصل فقط وإنّما اِختلفوا حتى في المكان الذي تطور واِنتقل فيه الخط.

وفي هذا الصدد يقول الكاتب **خليل يحي نامي** في مقدمة كتابه **أصل الخط العربي** «(...) ننظر هل بحث العرب في ذلك بحثًا علميًا صحيحًا أم كانت آراؤهم مبنية على الحدس والتخمين وهل توصلوا إلى معرفة الأصل الذي اِشتقت منه كتاباتهم أم كانوا يجهلون ذلك الأصل؟»[1].

وقول الكاتب هذا سيجعلنا نتساءل هل الكتابة العربية اِختراع اِجتهد العرب في تكوينها وتخطيطها عبر العصور أم أنّها وقف من عند الله؟ وهذا السؤال سيقودنا إلى ذكر نظريتين شهيرتين.

- **الخط العربي بين التوقيف والاختراع:**

أ- النظرية التوقيفية:

تتلخص النظرية التوقيفية في «أنّ أوّل من وضع جميع الخطوط الإنسانية هو آدم عليه السلام، كتبها في طين وطبخه وذلك قبل موته بثلاثمائة سنة، فلّما أظلّ الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم، وأنصار النّظرية التوقيفية يذهبون أيضًا إلى أنّ أخنوع (إدريس) عليه السلام هو الذي وضع الخط ويرى بعضهم أنّ الخطوط أنزلت على آدم عليه السلام في إحدى وعشرين صحيفة»[2].

---

[1] خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مطبعة بول باريه حارة فايد نمرة 1 عابدين، القاهرة، 1935، ص 2.

[2] محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص 2، نقلاً عن، صبح الأغشى القلقشندلي38 ص 6.

وهذه النظرية تجزم على أنّ، الكتابة وقفٌ من الله تعالى، علّمها لآدم عليه السلام وأنّ إسماعيل عليه السلام هو أوّل من نطق بالعربية ومن بعده نشأت العربية إلى يومنا هذا...[1].

أغلب الروايات القديمة تقول إنّ الخط أو الكتابة أصلها توقيف، ومن هذه الأقوال والروايات نجد قول: «ابن فارس في كتابه الصاحبي: يُروى أنّ أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلّها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة كتبها في طين وطبخه فلّما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتابًا فكتبوه فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي...[2] وعن ابن عبّاس أنّ أوّل من وضع الكتابة العربيّة إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام، وكان أوّل من نطق بها فوضعت على لفظه ومنطقه»[3].

ومن بين هذه الروايات نجد «من تَنسِب ما تقول به إلى النّبي صلى الله عليه وسلم، مثل أبي ذر الغفّاري رضي الله عنه حينما قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله، كل نبي مرسل بما يرسل؟ قال: بكتاب منزل، فقلت يا رسول الله: أيّ كتاب أنزل على آدم؟، قال: أ ب ت ث ج إلى آخره، قلت يا رسول الله كم حرفا؟ قال: ستة وعشرون»[4].

وجاء أيضًا في نفس هذا الموضع، «الذي نقول فيه بأنّ الخط توقيف وذلك لظاهر قوله تعالى ﴿**إقرأ باسم ربّك الذي خلق۞ خلق الإنسان من علق ۞ إقرأ وربّك الأكرم۞ الذي علّم بالقلم۞ علّم الإنسان ما لم يعلم**﴾[5]، وقال جل ثناؤه ﴿**والقلم وما يسطرون**﴾، وإذا كان كذا فليس يعيد أن يوقف آدم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب»[6].

---

[1] يراجع، إلاء محمد الحباري، الخط العربي فن وعلم وإبداع، دار المجد للنشر، 2014، عمّان الأردن، ص 130.

[2] أصل الخط العربي وتاريخ تطويره إلى ما قبل الإسلام، ص 2.

[3] الخط العربي وتاريخه، ص 3.

[4] محمد مرتاض، ص 3، نقلاً عن، العقد الفريد لابن عبد ربّه، ج4، ص157.

[5] خالد محمد المصري الخطاط، مرجع الطلاب في الخط العربي، دار الكتب العلمية، ط1، 1423ه 2002م، بيروت لبنان، ص 09.

[6] المرجع نفسه، ص 2.

هذه النظرية وبالرغم من تأكيدها بآيات قرآنية وأحاديث ، وروايات قديمة إلاّ أنها لم تخلُ من الانتقادات والمناقشات من طرف الباحثين، وقد جاء في كتاب أصل الخط العربي للكاتب يحي النامي مناقشة لهذا الرأي (النظرية التوقيفية)، حيث قال: «هذا الرأي لا يحتاج إلى مناقشة لسذاجته وفطرته والظاهر أنّه قد وضع لتفسير هذه الآيات القرآنية السابقة وللتوفيق بينهما وبين النظرية العربية المشهورة التي تقول بأنّ إسماعيل هو أبو العرب المستعربة وأنّه أوّل من تكلّم العربية التي تعلّمها من العرب المتعربة، لذلك قالوا بأنّ الله قد علّم آدم الكتابة فكتب الكتب كلّها قبل موته بثلاثمائة سنة فلّما كان الطوفان وجد كل قوم الكتابة التي يكتبها وجد إسماعيل أبو العرب الكتابة العربية فكتبها وتعلّمتها منه العرب المستعربة، إذا فهذا الرأي لا يقوم على حقيقة علمية ثابتة بل هو قد وضع وضعًا لتفسير الآيات القرآنية السابقة والنظريات العربية التي كانت شائعة في ذلك الزمان»[1].

أمّا المناقشة التي كانت من طرف محمد مرتاض في كتابه الخط العربي وتاريخه، فكانت على النحو الآتي: «(...) أنّ النظرية التوقيفية لا تستند على أساس، ولا تعتمد على شيء واضح لا يقبل الجُدول كالأمور التوقيفية جميعًا ذلك أنّ الأحاديث التي نُسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا تفتقر إلى الرواية الصّحيحة واحدًا عن الآخر، وليس يكفي أن تقول "يروى" بالمبني المجهول وإنّما يجب أن يكون الرّواة معروفين غير قابلين للتجريح، (...) فالآراء المجرّدة مثل هذه لا نتردّد في الشك فيها ما لم تقم دلائل قريبة أو بعيدة تزيل شكنا» [2]، ويُضيف قائلا: «ولسنا وحدنا الذين يرتابون في هذه القضية، فقد فعل ذلك قبلنا العالم الاجتماعي ابن خلدون في مقدّمته، وأكدّ أنّ (الخط من جملة الصّنائع المادية المعاشية، فهو على ذلك ضرورة اجتماعية اصطنعها الإنسان، ورمز بها للكلمات المسموعة، والكتابة –على ما هو معروف– المرتبة الثانية من مراتب الدلائل اللغوية تابعة في نموّها وتطورّها شأن كثير من الصناعات المعاشية لتقدّم العمران،

---

[1] خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، ص 3-4.

[2] محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص3.

والكتابة لهذا السبب تنعدم من البداوة، وتكتسب بالتحضر، ولا يصيبها البدو عادة إلاّ المقيمين على تخوم المدينة)»[1].

أمّا الرأي الثاني والمتمثل في النظرية التوفيقية الاختراعية الاصطلاحية الاجتهادية، التي تنادي بأنّ الكتابة والخط هي من صنع الإنسان، التي تُعد ردًا وانتقادًا للنظرية الأولى في حدّ ذاتها، فتحمل هي الأخرى في طياتها ما يلي:

ب-النظرية التوفيقية (الاختراعية):

الذين قالوا بتوفيقية الحروف والكتابة يرون أنّها جاءت عن طريق قوم من الأوائل من طسم وضعوها على أسمائهم وهي: «أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت»[2]، ويزعم هذا الرأي أنّ الخط اختراع، ولهم في ذلك روايتان مشهورتان وهما:

1- **الرواية الأولى:** أنّ العرب قد أخذت خطها عن الحيرة والحيرة أخذته عن الأنبار والأنبار عن اليمن.
2- **الرواية الثانية:** أنّ العرب قد اتخذت خطّها عن ملوك مدين الذين كانوا من العرب العاربة...[3] .

كما أشار ابن خلدون إلى أنّ الخط هو من ضمن الصنعة التي يتدرب عليها الإنسان، ويكتسبها مع مرور الأيّام، ولو كان توقيفًا لكان قد ظلّ بغير تصريف وبدون تحوير، لا حقّ للإنسان في تغييره وتبديله ولكان شبه متشابه في مجمله، فلم كانت هناك فصائل اللغات إذن؟ ولِمَ كان الخط العربي في الوثائق الأولى التي وصلتنا عبارة عن خطوط وزوايا ورسوم بدائية إلى أن اِكتمل نضجه وجماله في الوقت الحاضر، وغدا شيئًا جميلاً يخلب الألباب...[4].

---

[1] مقدمة ابن خلدون ص 313 نقلا عن محمد مرتاض ص 4.
[2] رانيا الشيخي، نشأة الخط العربي بين التوقيف والتوفيق، 8 يونيو 2020، 09:20، ص 01.
[3] يُراجع، خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره، ص 4.
[4] يُراجع، محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص 4-5.

نرجع معًا إلى **الرواية الأولى** التي ذكرناها سلفًا، ونرى ماذا وضع الباحثون فيها؛ سنجدها هي الأخرى لا تخل من المقالات القديمة التي اعتمدها الباحثون لتأكيد قولهم، «يقال: جاء في الفهرست لابن النديم أنّ ابن عبّاس قال أوّل من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان –وهي قبيلة– سكنوا الأنبار وأنّهم اجتمعوا فوضعوا حروفًا مقطعة وموصولة وهم: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة، ويُقال مروة وجدلة ، فأمّا مرامر فوضع الصور وأمّا أسلم ففصل ووصل، وأمّا عامر فوضع الإعجام»[1]، يُقال إنّهم قاسوها على هجاء السريانية ثم نُقل هذا العلم إلى مكة وتعلّمه من تعلّمه وكثر في النّاس وتداولوه، «بل إنّ بعض الباحثين من المتحيّزين لا يستنكف عن أنْ ينسب الخط العربي إلى أمته، كاليهودي **إسرائيل ولفنسون** الذي يعود أصله إلى العبريّة وكالنصراني **الأب لويس شيخو** الذي يزعم أنّه انبثق عن المسيحية»...[2] ، ويُقال أيضًا إنّه قد جاء في أدب الكتاب للصولى، أنّه سئل المهاجرون من أين تعلموا الكتاب فقالوا من أهل الحيرة فسئل أهل الحيرة من أين تعلموا فقالوا من أهل الأنبار، ووظفت هذه الرواية رأي الألوسي في بلوغ الأرب أنّه قد ذكر ما يلي وسمي خط العرب بالجزم لأنّ الخط الكوفي كان أولاً يسمى الجزم قبل وجود الكوفة لأنّه جزم أي اقتطع وولد من المسند الحميري ومرامر هو الذي اقتطعه...[3].

أمّا **الرواية الثانية** فقالت وذكرت في هذا الموضع نفسه روايات كرواية ابن النديم في الفهرست الذي ذكر الاختلافات بين النّاس حول من وضع الخط العربي، وقال بأنّ العرب العاربة التي نزلت في عدنان هي التي وضعته، ويُسانده الرأي أيضًا ابن أبي سعد...[4].

---

[1] خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، ص 5، وينظر: محمد مرتاض، الخط العربي ص 6–7.

[2] ينظر، نشأة الكتابة العربية للدكتور: حسين نصّار، ص19، نقلاً عن: د.محمد مرتاض ص 6.

[3] يراجع، خليل يحي نامي ص 5.

[4] المرجع نفسه، ص 6.

ومن دون شك هذه النظرية (الاختراعية) لم تخلُ من المناقشة فيما قد جاءت به وانتُقِدَت هي الأخرى.

وقيل عنها كسابقتها بأنّها رأي فاسد من عدة وجوه، وأنّها خرافية لا يتقبلها العقل ولا يتصورها العلم، وأنّ كل تلك الأقوال جميعها لا تكاد تنجو من الزلل، مثل ما جاء به ابن عبّاس من أمر الثلاثة المذكورين أنّه يداخلنا الريب حتى في أسمائهم هذه المسجوعة والموزونة وكأنّها مقفاة على وزن واحد، مرة– سدرة – جدرة...[1].

عرفت الكتابة الإنسانية أنواعا متنوعة من الكتابات من أجل التواصل وفكّ الغموض، ومن بين تلك الكتابات والخطوط نجد ما يُعرف **بخط المسند**، فما هو هذا الخط وأين كان ومن أين انتشر ومن أصحابُه، وكيف كانت أبجديته؟ وكم من سؤال يتبادر في ذهن أي قارئ أو باحث حينما تسقط في أذنه عبارة خط المسند والكتابة الجنوبية أو ما يسمى بعرب اليمن والعرب المستعربة، ففي هذا المبحث سنقوم مع بعض بفك بعض الغموض لهذه التساؤلات.

ينتسب عرب اليمن «إلى يعرب من قحطان، ويعرفون بالعرب المتعرّبة لأنّهم تعرّبوا، أي اقتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة وهي البائدة، ويزعم مؤرخو العرب أنّ بني قحطان لمّا نزلوا اليمن، كان فيها بقيّة من العرب العاربة والدّولة فيهم والقحطانيون يومئذ بعيدون عن رتبة الملك والترفة التي كانت لأولئك (أي العرب العاربة) فأصبحوا بمنجاة من الهرم الذي يسوق إليه التّرف والنضارة، فتشعبّت في أرض الفضاء فصائلهم وتعددت أفخاذهم وعشائرهم، ونما عددهم وكان يعرب من قحطان من أعاظم ملوك العرب»[2]، «وإنّ الكتابة العربية الجنوبية التي كتبت بها نقوش الممالك اليمنية القديمة (سبأ، معين، قتبان، وحضرموت) استعملت الخط المسند والخط العربي الجنوبي (اليمني القديم وهو خط اشتق اسمه من الأصل اللغوي (س ن د) في اللغة العربية الجنوبية (اليمنية القديمة)، إذ جاء في معاجم هذه اللغة (س ن د) يعني: أقام، نصب، والاسم (م.س.ن.د) نقش، لوح

---

[1] يراجع، محمد مرتاض وخليل يحي نامي ص 6.

[2] محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، 03-1994، جامعة تلمسان، ص 7-8-9.

نذر عليه نقش، وقد جاءت كلمة (م س ن د) في اللغة العربية الجنوبية بالسين الثانية (السامخ) التي لا نعرف كيف تنطق، غير أنّ الأمر المؤكد في هذا الصدد أنّ حرف السين الثانية (السامخ) هي سين في العربية، ذلك أنّ هذا الحرف يقابله حرف السامخ في العبرية وحرف السين في اللغات السامية الأخرى إذا كان للكلمة العربية نظير في أيّ منها»[1].

تعريف خط المسند:

يُعرف على أنّه «نظام كتابة قديم تطور في جنوب الجزيرة العربية، وهو الخط الساند والأساسي قبل الخط العربي الحالي ويسمى بالحميري لارتباطه بالحضارة اليمنية، ولكنّ تبين فيما بعد أنّه لم يكن خط حمير فقط وإنّما خط سبأ ومعين وقتبان، وحضرموت وغيرها، وبالتالي فقد أطلق عليه اسم خط عرب الجنوب وأطلقوا على كتابات المسند ونقوشه اسم الكتابات والنقوش العربية الجنوبية»[2].

وللمستشرقين نقطة أخرى حول تسمية المسند أو الخط الحميري: يسمُونه «خط النصب التذكارية، هو نظام كتابة قديم تطور في اليمن جنوب الجزيرة العربية، قرابة القرن التاسع – العاشر قبل الميلاد وهو أحد ضروب الكتابة السامية الجنوبية، وكان نظام الكتابة المستعمل في السامية الجنوبية، وكان نظام الكتابة المستعمل في شبه الجزيرة العربية لوقت طويل، ويُخط المسند من اليمين إلى اليسار إلاّ في نقوش الفترة المبكرة حيث يُخط فيها بطريقة خط المحراث، فيكون اتجاه الكتابة في الأسطر الوترية من اليمين إلى اليسار وفي الأسطر الشفعية من اليسار إلى اليمين ممّا يؤدي إلى قلب اتجاه بعض الحروف ليوافق اتجاه الكتابة»[3].

---

[1] د. عبد الله أحمد مكياش، الكتابة العربية الجنوبية (كتابات المسند) أصلها وانتشارها وعلاقتها بالكتابة الشمالية الغربية، كلية الآداب، جامعة عدن، ص 338.

[2] صلاح بن سيف البعربي، بحث عن خط المسند، كلية الشرق الأوسط، مركز دراسات الوثائق والمحفوظات، إشراف الدكتور: محمد العريمي خريف، 2013، ص 5.

[3] محمد علي مادون، الخط المسند، موسكو، 2006، تاريخ النشر 2020/06/02، 13:40:23، ص 1-2.

مناطق انتشاره:

أمّا عن مناطق انتشاره فدلّت بعض الدراسات على «أنّ لمملكة كندة دور حضاري في انتشار خط المسند خارج أرض اليمن، وقد تركزّ انتشار هذا الخط في جنوب الجزيرة العربية (اليمن والمناطق الغربية لعمّان وجنوب السعودية)، بالإضافة إلى بلاد النهرين والعراق وهو ما أكدته نقوش لهذا الخط عثر عليها مكتوبة على الصخور والمغارات وعلى بقية القلاع والقبور والأبراج القديمة في تلك المناطق»[1].

وكذلك عُثر على نقوش عديدة بخط المسند، من النّوع المعروف بـــ(الثمودية)، في منطقة الحِجر شمال الجزيرة العربية، وتمتد حتى تصل إلى (وادي رام) شمالاً، ومع اكتشاف قرية (الفاو) الأثرية، عاصمة مملكة كندة، عثر على عدد من النقوش المكتوبة بخط المسند[2].

أبجدية خط المسند:

تتكون الأبجدية العربية الجنوبية «من 29 حرفًا صامتًا يفصل بين كلماتها خط عمودي، وقد كتبت معظم النقوش العربية الجنوبية على الحجر أو البرونز أو الخشب، وعالجت هذه الكتابات (النقوش) مواضيع متعددة في المجتمع اليمني القديم، تمثلت في:

أ- نصوص تنظيم الحياة العامة.

ب- نصوص دينية وهي أكثر عددًا وأهمية.

ت- نصوص الممتلكات.

ث- نصوص تذكارية.

---

(1) المرجع نفسه، ص 05.

(2) يُراجع، خالد بشير، كاتب أردني، بين المسند والآرامي والنبطي، مجلة حفريات، الأردن، 2020/08/04، ص 6.

ج- نقوش الحروب»[1].

وهناك رواية أخرى تقول إنّ الباحثين يعتقدون أنّ خط المسند هو أوّل أبجدية، ومنه اشتقت الأبجديات الأخرى، وفي هذا يقول شكيب أوفدان: (يمضي فهماء الإفرنج ومنهم المستشرق **مورتينز الألماني** إلى أنّ أصل الكتابة بالحروف الهيروغليفية كان في اليمن، وهو يعتقد أنّ اليمانيين هم الذين اخترعوها كما هو الرأي المشهور، وهو يستدل على رأيه هذا ويقول حتى الفنيقيين إنّما بنوا كتاباتهم على الكتابة العربية اليمانية، ثم إذا اليونانيين أخذوا الكتابة عن الفنيقيين، وعنهم أخذ الرومانيون، فيكون العرب هم الذين أوجدوا الكتابة في هذا العالم، وهذا لاعتبارهم هم الذين أوجدوا المدنية[2].

ملاحظة: الرواية تحمل في بطنها الفعل **يعتقد** الذي يحمل في معناه **الظن** و**الشك**، لذلك لا نستطيع أخذ الحقيقة من أمر مشكوك فيه.

ويُقال عن الأبجدية العربية الجنوبية «ما هي إلاّ إحدى الأبجديات التي عرفتها الكتابات السامية واتخذت لنفسها مكانة بين الأبجديات المعروفة في الشرق العربي القديم»[3].

تطور خط المسند:

لو نتتبع كتابات المسند سنجد أنّه قد شهد تطورًا خلال كل مرحلة من المراحل التي مر بها، فكانت له مراحل تاريخية متعاقبة تتمثل فيما يلي[4]:

---

[1] د. عبد الله أحمد مكياش، الكتابة العربية الجنوبية (كتابات المسند) أصلها وانتشارها وعلاقتها بالكتابة الشمالية الغربية، كلية الأدب جامعة عدن، ص 339.

[2] يُراجع، محمد علي مادون، خط المسن، ص 1 – 2.

[3] د. عبد الله أحمد مكياش، ص 341.

[4] صلاح بن سيف العربي، ص 6-7.

المرحلة الأولى (القرن 10 ق.م- بداية القرن 2 ق.م):

لم تكن أبعاد حروف كتاباتها الأولى قد ثبتت بعد، فيلاحظ عليها عدم الاتساق في ارتفاع الحروف، وقلة الانسجام في مظهرها العام، ثم بلغ الخط في كتابات عهد مكاربة سبأ كماله، واتخذ مظهرًا هندسيًا بارزًا، اِتسم بالتناسق الدقيق بين الحروف والبساطة التقليدية في آن واحد، وتميزت حروفها بالاستطالة والخطوط المستقيمة والزوايا القائمة والبعد عن أي زخرف، مع استعمال الخط الغائر، واستمرت أشكال الحروف هكذا حتى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد.

المرحلة الثانية: (القرن 2 ق.م - القرن 3م):

تميزت أشكال حروفها بالميل إلى الزخرفة، واِستبدال الخطوط المستقيمة بخطوط تميل إلى الانحناء، وحلّت الزوايا الحادة مكان الزوايا القائمة واِتسعت نهاية الحروف، وزينت بمذئبات زيادة في الزخرفة والتأثير الفني، واِستعمل الخط الغائر الذي استعمل في كتابات المرحلة السابقة.

المرحلة الثالثة (القرن 3م - القرن 6م):

تميزت باِستعمال أسلوب الخط الناقر في تدوين حروفها، وغلب على الحروف مظهر الزخرفة والمبالغة فيه إلى حد أفقد الحروف وضوحها في بعض الكتابات.

المسند لم يكن كتابة وخطٌ جامدٌ وإنّما كان منبعًا لعدة خطوط وكتابات تفرعت منه.

الكتابات العربية الجنوبية:

تعددت الكتابات العربية الجنوبية وتميزت كل واحدة عن الأخرى في شكل الخط، منهن مَن تحمل مراحل ومنهنّ من تحمل نقوشا وهذا التميز والتباين هو الذي جعلها تنتشر في مدن وأماكن مختلفة، تترتب تلك الكتابات كما يلي:

«أ- الكتابة السبئية.

ب- الكتابة المعينية.

ج- الكتابة القتبائية.

د- الكتابة الحضرمية»[1].

أمّا الخطوط التي وُلدت من المسند فكانت عديدة، من أهمها:

«1- الخط اللحياني.

2- الخط الثمودي.

3- الخط الصفوي (الصفائي).

4- الخط الحبشي (الجعزي أو الجنزي أو الأمهرية).

5- خط الجزم (الخط العربي الحالي).» [2]

خط الجزم هو فرضية محل خلاف بين المهتمين بالخطوط.

المسند، هو خط وكتابة لها أبجدية، فمن الواضح أنّها لا تخلو من الخصائص والأهمية، فما هي تلك الخصائص وأين تكمن أهميته؟

خصائص خط المسند:

تتمثل في[3]:

- اِتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار غالبًا، ومن اليسار إلى اليمين أحيانًا.
- يمكن قلب الحرف عند الانعكاس بشكل المرآة.
- يكتب بأحرف منفصلة وغير متصلة، أي أنّه لا يتم الربط بين الحروف في وسط الكلمة مثل الخط العربي، وبالتّالي فإنّ شكل الحرف لا يتغير بحسب موضعه في الكلمة.
- يفصل بين الكلمات بخط عمودي.

---

[1] د. عبد الله أحمد مكياش، الكتابة العربية الجنزبية، ص 344-345-346.

[2] صلاح بن سيف البعربي، ص 7-8.

[3] محمد علي مادون، الخط المسند، ص 3-4.

- يضاعف الحرف عند الدلالة على التشديد.
- لا يحتوي على حركات أو تنقيط.

أهمية خط المسند:

نرى أنّ هذه الأهمية تنقسم إلى:

1- أهمية في العصر الحديث.

2- أهمية في العصر القديم.

نبدأ بالأهمية في **العصر الحديث:** «تعتبر الكتابات والنقوش القديمة ذات أهمية بالغة في العصر الحديث، وذلك لأنّها المصدر الرئيس الذي يستقي منه المؤرخون والباحثون كل ما دون ويُدون عن تاريخ الجزيرة العربية القديم وحضارتها، كما وتكتسب هذه الكتابات والنقوش ثروة تاريخية مفيدة مهما كان موضوعها، إذ تسجل حياة أصحابها وطرق معيشتهم وعقائدهم، وأوضاعهم السياسية وعلاقتهم الخارجية بالأمم المجاورة لهم.

أمّا في **العصر القديم** تكمن الأهمية في: كان السبئيون يُخلدون ذكراهم بكتابة شواهد باستخدام خط المسند (أو متسندن "م.ت.س.ن.د.ن" كما كانوا يطلقون عليها)، كما اِستخدموا أبجدية المسند في معاملاتهم اليومية ما يجعلها من أقدم الأبجديات في العالم.

- كان نظام الكتابة الأوحد لشبه الجزيرة العربية.
- اِستعاره المتحدثون بالعربية الشمالية القديمة، كما وجدت له آثار في شرق الجزيرة العربية كذلك.
- اِستعاره المتحدثون باللغات الأثيوبية كذلك»[1].

أي كتابة لها مواضيع تعالجها، لو خلت من هدف المعالجة لما سُميّت كتابة، تُرى هل لكتابة المسند مضامين؟ أم أنّها مجرد رسومات وحروف من أجل تبادل الحوار؟.

[1] يُراجع، صلاح بن سيف البعربي، ص 10.

مضامين كتابات المسند[1]:

تدور مضامين كتابات المسند حول مجالات مختلفة من بينها:

1- تنظيم الحياة العامة:

وهي المراسيم التي يصدرها الملك أو القبيلة أو المعبد، والتي تعالج مواضيع مختلفة مثل: **أنظمة السوق، وتوزيع الأراضي...الخ.**

2- نصوص دينية:

وهي تشكل العدد الأكبر من النقوش بسبب أهميتها، وتوجد في المعابد والأماكن المقدسة، وتتعلق هذه النقوش بتقديم القرابين والاعترافات العلنية...الخ.

3- نصوص تتعلق بالممتلكات:

وهي نقوش تتعلق بمناسبة إقامة منشئات أو توسيعها، وتحدد في الوقت نفسه حقوق الأشخاص فيها.

4- نصوص تذكارية:

وهي نصوص تتعلق بتمجيد الملك أو الشخصيات الهامة في المملكة لعمل عظيم قاموا به.

5- نصوص سياسية:

وهي نصوص تتحدث عن الحروب والصراعات بين المماليك والملوك والقبائل.

---

[1] المرجع نفسه، ص 17.

هكذا كان المسند حامل أبجدية وخصائص وذا أهمية، وعالج مضامين إنسانية وإنتشر في عدة بقاع وتفرعت منه عدة خطوط وكتابات، لذلك قيل إنّه أوّل الأبجديات.

وجد المستشرقون نقوشًا في الأنحاء الشمالية للبلاد العربية تحمل اسم جماعة تعرف بالنبط. فدرسها الباحثون ليكشفوا عن تساؤلاتهم وتساؤلاتنا، ما أصل النبط؟ كيف كانت كتاباتهم وهل إختلفت عن كتابة المسند؟ وفي هذا المبحث سنقوم بذكر بعض الأجوبة لهذه التساؤلات.

أصل النبط:

في أصلهم يقولون: «إنّهم قبائل عربية أغارت على بلاد آرامية فتحضرت بحضارتهم وإستعملت اللغة والكتابة الأرامية في النقوش وسائر الشؤون العمرانية»[1]. وإشتقوا لأنفسهم خطًا من خطوطهم كتبوا به، وإن كانوا قد إحتفظوا بلغتهم العربية التي ظلّوا يستعملونها في أمورهم الخاصّة، وأحاديثهم الجارية[2].

وفي رواية لديدور الصقلي يقول: «[في أواخر القرن الرابع ق.م كانت توجد في ناحية بطرَا قبائل تعيش عيشة بدوية لا تزرع ولا تحصد ولا تشرب الخمر] وهذا يدل على أنّ هذه القبائل عربية لأن العرب كانت أمة بدوية تأنف من الاشتغال بالزراعة والمهن الأخرى وتحتقر مَن يزاولها فلما أغارت هذه القبائل على الأقاليم الأرامية وتحضرت بحضارتها نسيت بدويتها الأولى وأخذت تزاول المهن التي تستلزمها الحضارة والعمران كالزراعة فأطلق البدويون على هذه الجماعة المتحضرة اسم النبط لاستنباطهم ما يخرج من الأرض»[3].

تعريف النّبط:

---

[1] خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطويره إلى ما قبل الإسلام، بول باريه، حارة فايدة نمرة 8 عابدين، القاهرة، 1935، ص 7.

[2] محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص 15.

[3] المرجع نفسه، ص 7.

وفي تعريف النبط يقولون: «النبط أو النبيط أو الأنباط، اسم يرد في المصادر العربية، والنسبة إليهم رجل نباطي، وهؤلاء غير الأنباط [ر] الذين أسسوا مملكة في جنوبي الأردن والذين نسب إليهم البتراء، ويذكر ابن منظور عن سبب تسميتهم أنّ (النبط إنّما سمّوا نبطًا لِاستنباطهم ما يخرج من الأرض) كما عرّف المسعودي النبط في كتابه (التنبيه والإشراف) بأنّهم (السريان الذين يسكنون العراق والجزيرة والشام)»[1].

ذكرت بعض الروايات أنّ شعب النبط أو قبائل النبط اِنتشروا اِنتشارًا واسعًا في تلك المناطق وأريافها، وكانوا أصحاب أرض وتجارًا وفلاحين، وأنّ المسلمين كانوا يستخدمونهم (النبط) جواسيس لهم، «وهؤلاء الأنباط قوم من النصارى غير أنّهم كانوا إلى المسلمين لبرّهم أميل فكانوا فيوجًا للمسلمين وجواسيس، وكان الروم لا يتهمونهم في شيء من ذلك، وقد أوضح جواد علي في تعريفه النبط تلك الإشارات الواردة في المصادر عنهم بوصفه لهم أنّهم بقايا الشعوب القديمة التي سكنت بلاد الشام والعراق، وأنّهم مترسبات الآرميين في هاتين المنطقتين، وذلك قبل الإسلام وبعده»[2].

في أحد المقالات التي قرأتها، قالو إنّ إحدى الروايات تدل على هروب النبط، وحدوث تغير في مناطق سكناهم إثر الفتح الإسلامي لمناطقهم، لكن تلك الروايات كانت قليلة كما ذُكِرْ ولا تدل على الحقيقة مُقارنةً بالروايات الأخرى.

أمّا عن أسماء النبطيين فنتساءل على غرار ما جاء في المقالات التي سبقت الذكر، كيف كانت؟ أرامية أم عربية أم اِمتزجت وباتت تحمل الصنفين.

الأسماء في اللغة النبطية:

يُذكر أنّ أغلبية الأسماء هي «أسماء عربية مثل: حارثة، مليكة، جديمة، كليبة، وائل، وائلة، مغير، قصي، عدي، عائذ، عمر، عميرة، يعمر، كعب، معن، سعد، مسعود، وهب الله، تيم الله...الخ، ويُشار أنّ في كتاب Nabataean

(1) أسامة اختيار، نجدة خماش، النبط، الموسوعة العربية، ص 1.
(2) المرجع نفسه، ص 1.

Inscription للكاتب **وليتمان** قال بأنّ 90% من الأسماء النبطية أسماء عربية والباقي أسماء آرامية ولاتينية ويونانية»[1].

وفي أحد المقالات، أنّ إحدى الروايات القديمة تدل على هروب النبط وحدوث تغيرات في مناطق سكناهم إثر الفتح الإسلامي لمناطقهم، ولكن تلك الروايات كانت قليلة حسب ما ذُكر ولا تدل على الحقيقة مُقارنة بالروايات الأخرى.

اللغة المستعملة في الكتابة النبطية:

وفيما يخص الكتابة والنقش عند النبطيين فنجد أنّهم كانوا يستخدمون كلمات عربية بدلاً من الآرامية مثلاً: يستعملون في نقوشهم كلمة [غير] التي لا توجد في الآرامية ولا في غيرها من اللغات السامية، بالإضافة إلى وجود أثر النحو العربي في نقوشهم كاِستعمالهم الفاء للترتيب كما في العربية تماما مع أنّها غير موجودة في الآرامية، وأيضًا اِستعمالهم للماضي عوض المضارع في حالة الدعاء بينما يستعمل الآراميون المضارع.

وتجدهم يُلحقون المضاف إليه [ياءً] وذلك في الأعلام المركبة مثل **وهب الله** نراها مكتوبة هكذا **وهب الهى**، وهذه الياء نراها في أغلب الأسماء النبطية المركبة وهي إمّا أن تكون عبارة عن إشباع كسرة الجر، وهذا إن دلّ فإنّه يدل على أنّ النبط كانوا يتكلمون العربية قُبيل القرن الأول المسيحي، وعلى أنّهم قبائل عربية هجرت البادية إلى الحضر تثقفت بالثقافة الآرامية واِستعملت خطها في كتابتهم ونقوشهم لأنّ في ذلك الوقت كانت الآرامية لغة التحضر والعمران لكن النبط لم ينسوا لغتهم الأصلية (اللغة العربية) فكانوا يستعملونها في أحاديثهم اليومية[2].

تاريخ النبط:

قلنا فيما سبق عن النبط إنّهم قبائل عربية وشعب عربي، اِنتقلت من البدو إلى الحضر واِختلطت بهم وكسبت الثقافة الآرامية ووظفتها في كتابتها، لكن لم نُشِر إلى تاريخ وجودهم ولا إلى مكان تواجدهم (الرقعة الجغرافية) و «البحث في تاريخ الأنباط وأصولهم يدفعنا إلى البحث في تاريخ أسلافهم، وربما شركائهم في

---

[1] خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطويره إلى ما قبل الإسلام، ص 8.

[2] يُراجع، خليل يحي نامي، ص 9-10.

منطقة الأدوميين، وهي المنطقة التي شكلت النواة الجغرافية الأولى لدولة الأنباط، وكانت مملكة الأدوميين قد قامت جنوب شرقي الأردن بين وادي الحس وخليج العقبة، شهدت أوج حضارتها في شمال الجزيرة العربية على طريق "البخور" التجاري الذي يمتد من المحيط الهندي إلى موانئ فلسطين وسوريا، وحتى حدود المملكة الأردنية الهاشمية الآن، إنّها مملكة الأنباط التي كانت كيانا سياسيًا قويًا إزدهر منذ 169 قبل الميلاد، وحتى نهاية القرن الأوّل الميلادي، وتحديدًا سنة 106 ميلاديًا»[1]. ومقال آخر يذكر «أنّها مملكة عربية قديمة قامت في صحراء الأردن وسيناء والنقب وأجزاء من شمال شبه الجزيرة العربية، كانت عاصمتهم مدينة البتراء في الأردن وكانت محطة استراتيجية واقعة على طريق البخور، إذ إنّها تقع على مفترق طرق القوافل القادمة من اليمن وتربطها بالشام ومصر والبحر الأبيض المتوسط»[2].

هذه القبائل كما قال يحي نامي، جهل الباحثون إسمها النبطي لأنّ النبط لم تضعه في نقوشها التي عُثِر عليها، وأضاف قائلا «أنّ اليونانين والرومانيين كانوا يطلقون عليها اسم (petra) بمعنى (الصخرة) ومن المحتمل أنّ النبط إحتفظت باسمها القديم –الصخرة– الوارد في الثوراة لموضع في بلاد أدونيم جنوب القدس وعنهم ترجم اليونانيون والرومانيون هذا الاسم إلى (petra)»[3]. وتاريخ النبط طويل نوعًا ما فإكتفيت بالجزء الأهم فقط، ودونته في السند المذكور.

أبجدية خط النبط:

هو أبجدية إشتقت وتطورت عن الآرامية، «وقد بدأ ظهوره كخط مستقل عند العرب الأنباط منذ القرن الثاني قبل الميلاد واستمرّ في تطوره حتى وصل في القرن الثالث الميلادي إلى ما عُرِف بـــ (الخط النبطي المتأخر)، الذي تتسم أحرفه

---

(1) تاريخ الاستيطان النبطي، https://www.sasopost.com/kin ، 2022/04/09.
(2) مملكة الأنباط، https://a.r.m.wikipedia.org/wiki/ ، 2022/04/12.
(3) خليل يحي نامي، ص 10.

بالِانحناءات والِاستدارة مع الِاحتفاظ في بعض الأحرف على سمة التربيع التي يتسم بها الخط الآرامي»[1].

الكتابات النبطية:

وتنقسم الكتابات النبطية على حسب الأماكن التي وُجدت فيها وهي خمسة:

«1- كتابات وجدت في سلع (بطرا) عاصمة النبط.

2- كتابات وجدت في البلاد المتاخمة للحجاز كالعلا والحجر.

3- كتابات وجدت في بلاد حوران.

4- كتابات وجدت في أودية طور سينا.

5- كتابات وجدت في الممرات التجارية التي ارتادها تجار النبط ومروا بها»[2].

كانت هذه الكتابات والأمكنة التي وجدت لأهل النبط، وقيل إنّ الباحثين عثروا عليها مكتوبة على ألواح حجرية أو منقوشة على صخور الجبال، وقسّمها العلماء إلى قسمين:

أ- كتابات وجدت مكتوبة بخط طريف متقن ومنقوشة بدقة، ويسميها المختصون (Inscriptions) ومعناها (النقوش).

ب- كتابات وجدت مكتوبة بخط قبيح أشبه بالخربشة ويطلق عليها الباحثون اسم (Graffiti) وتعني (الكتابة المخربشة)[3] .

---

[1] خالد بشير كاتب أردني، بين المسند والآرامي والنبطي، مجلة حفريات، الأردن، 2020/08/04، ص 1.

[2] خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطويره إلى ما قبل الإسلام، ص 15.

[3] المرجع نفسه.

تطور الكتابة النبطية والمميزات التي حملتها بعد هذا التطور:

ذكرنا في النقاط التي سبقت هذا الذكر أنّ الشعب النبطي اِستعمل في كتاباته وشؤونه العمرانية الكتابة الآرامية لكنّه ظلّ محتفظًا بلغته العربية في تخاطبه اليومي، لكن بعد فترة وجيزة من صعوبة محاكاة الخط الآرامي بالصورة الصحيحة اِستقلت عنه واِبتعدت عن الكتابة به ووضعت خطًا خاصا بها، لأنّ معظم كتاباتها بالخط الآرامي كانت عبارة أو أشبه بما يسمى بالخربشة فلم تنسخ الحروف بصورة مطابقة للأصل، وقيل إنّ الجيل الجديد للنبط هو الذي اِستقل بكتابته لأنّه اِتبع الخربشات التي جاء بها الأوّلون فزادت الطين بلة فصارت الكتابة الآرامية بخطهم أكثر خربشة هذا الدافع الذي دفعهم إلى التميز بخطهم الخاص والذي يسمى بالكتابة النبطية، أمّا المميزات التي اِتّصف واتّسم بها خط النبط فتمحورت في:

الأربطة:

وهي وصل حروف الكلمة الواحدة ببعضها بأربطة تجمع بينها وتكون منها وحدة مستقلة قائمة بذاتها.

الفواصل:

وهي حروف اِستعملها النبط في أواخر الكلمات لتكون فاصلا بينها وبين الكلمات التي تليها.

الإعجام[1]:

[1] يُراجع، خليل يحي نامي، ص 25، 85، 86.

الكتابة النبطية لا تعرف التنقيط كالكتابة العربية تمامًا في أوّل نشأتها لذلك فبعض الحروف تؤدي معنيين مثل: **الباء** تؤدي معنى **الباء والنون**، و**الدال** تؤدي معنى **الدال والذال**..الخ.

أما تاء التأنيث الملحقة بالأسماء فتكتب كما كانت تكتب في أوائل الإسلام أي بالتاء وليست بالهاء مثل: **حارثت وكليبت**.

تحذف الحركات الممدودة في الكتابة النبطية كالألف فيكتبون؛ حارثة **حرثت** بدون ألف، ومالك يكتبونها **ملك**...الخ.

ملحوظة 1: ذكرنا فيما يخص (تطور الكتابة النبطية) أنّ النبطيين كانت محاكاتهم للخط الآرامي تشبهُ الخربشة، وكنّا قد عرجْنا على هذه النقطة في عنصر (الكتابات النبطية) وقلنا إنّها تنقسم إلى قسمين، جزء وُجد مكتوبا بطريقة متقنة وجزء وجد مكتوبا بطريقة قبيحة، فالجزء الثاني هو جزء محاكاة الخط الآرامي.

ملحوظة 2: خصصتها (للعنصر الخامس) من (مميزات الكتابة النبطية) إذ نجد تلك الميزة أو الخاصية موجودة في المصحف العثماني في بعض الكلمات.

هذه هي النبط وكتاباتهم ومميزاتهم ولم تشبه أبدًا (العرب العاربة) (كتابة المسند) لا في أصلها ولا في طريقة كلامها ولا في كتابتها وأبجديتها، فقط تجمعهم صفة واحدة مشتركة أنّهما من الكتابات السامية، وبالرغم من هذا وذاك إلاّ أنّنا نبقى في تساؤلاتنا. مِن أين تفرّع الخط العربي؟ هل اِشتق من المسند الحميري؟ أم كان ذا أصل نبطي؟ كلٌ هذا سيلقى تفكيكا وشرحا وإجابة في المبحث الأخير لهذا الفصل.

بين اِتفاق وتنافر، واِتحاد وتباعد بين الباحثين والعلماء المختصين حول نشأة الخط العربي بين المسند والنبطي هناك من يقول إنّ أصله العرب العاربة والضَرْب الآخر يقول إنّه نبطيّ لا محالة، «يتفق معظم العلماء على أنّ الخط العربي قد وصل إلى الجزيرة العربية عن طريق العرب الأنباط الذين كانوا يسكنون في جنوب الشام، وقد نقله هؤلاء عن العرب المناذرة الذين كانوا يسكنون في الحيرة من أرض العراق، وهؤلاء نقلوه عن الأمم المجاورة لهم، والتي تعود

كتاباتها إلى الخط السومري المسماري الذي يكتب به معظم الناس اليوم، إلاّ أنّ هناك رأيًا آخر لا يقل وجاهةً عنه، وهو أنّ أصل الخط العربي من اليمن، الذي نشأت فيه حضارات عظيمة ذوات علم وتقدم ورقي، مثل حضارة عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد، كما أخبر الله –سبحانه وتعالى– في سورة الفجر، وحضارة سبأ التي اِشتهرت بنظامها السياسي القائم على الشورى والتي اِشتهرت بالتجارة والصناعة والزراعة، ونظام الري والسدود كما تحدث القرآن في سورة سبأ والنحل، وحضارة حمير التي أبدعت في العمران والزراعة والتجارة، حتى أصبح اليمن في زمنها اليمن السعيد، كما قال شوقي:

لقد رأيت حول صنعاء وفي ظل عدن
خمائلا كأنّها بقيةً من ذي يزن
الحبُّ فيها سكر والماء شهد ولبن.

وهذا الرأي يقول إنّ الحميريين نقلو الخط عن عاد وهو ما يعرف بالخط المسند، وبرعوا فيه، حتى نسب إليهم كما قال الشاعر:

عرفتُ الديار كرقم الدويّ يزبره الكاتب الحميريّ

ثم نقله المناذرة عنهم، وهو المعروف بخط الجزم، الذي اِشتق منه المسند وصار يعرف فيما بعد بالخط الكوفي»[1].

أصل الخط (المسند):

في إحدى الآراء والفرضيات المعروفة هناك فرضية ملقبة بـــ «(الفرضية الجنوبية) تذهب إلى القول بنشأة الخط العربي وتطوّره عن الخط المسند الحميري، الذي نشأ وتطوّر في اليمن منذ فترات تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وتعود أصوله إلى الأبجدية (السينائية الأولية) التي تطورت عنها الفينيقية كذلك»[2]. وحملت في مضمونها «أنّ خط الجزم الذي ظهر في العراق في فترة القرن الرابع الميلادي، وكان بمثابة خط عربي مبكّر، كان متطورًا عن الخط المسند وليس عن الخط النبطي أو الآرامي كما في الفرضيات الأخرى، إلاّ أنّ هذه الفرضية ظلّت

---

[1] محمد عواد العموز، الصعوبات الإملائية في الخط العربي، دروب للنشر والتوزيع، الطبعة العربية 2011، عمّان، الأردن، ص 15–16.

[2] خالد بشير كاتب أردني، بين المسند والآرامي والنبطي، مجلة حفريات، الأردن، 2020/08/04، ص5.

مفتقرة للشواهد الكافية التي تمكّن من تتبع التطوّر والانتقال من المسند وصولاً إلى الخط العربي الحجازي»[1].

مناقشة هذا الرأي:

اِنْتُقِدَتْ هذه النظرية من طرف باحثين مختصين لقولها بأنّ المسند أبُ الخط العربي ومنبع لأبجديته، فجاءها الرد بأنّها «لا يوجد لدى أصحاب هذه النظرية دليل ثابت، فليس هناك علاقة واضحة بين خطوط حِمير في اليمن والخط العربي الذي نكتب به اليوم ولكن قد يكون منشأ هذه النظرية أنّ اليمن قد فرضت حكمها السياسي على بعض الأمم العربية في الشمال في وقت حكم سبأ وحِميَر، ويرى اِبن خلدون إلى الخط المسند أنّه خط منفصل الحروف، وليفصل الكاتب بين الكلمات يستعمل خطوطًا عامودية مستقيمة، على خلاف الخط العربي الذي اِنتهى إلى قريش، كما يوجد اِختلاف في أشكال الحروف – عدا حرف الراء – وكذلك اِتجاه الكتابة في الخط المسند لم يقتصر على جهة واحدة كالخط العربي – من اليمين لليسار – بل العكس، وقد يمزج الكاتب أيضًا بين الطريقتين، وقد يكون السبب في ربط الخط العربي الشمالي بالخط المسند الحميري أنّ بعض الأمم الشمالية قد اِشتقت منه خطوطا للكتابة، مثل الخط الصفوي والثمودي والحياني المشتقة من الخط المسند»[2].

ملحوظة: على حسب ما جاء في المبحث الثاني المخصص لخط المسند نتأكد نوعًا ما أنّ الخط العربي بعيد كل البعد عنه، نظرًا لأبجدية المسند وطريقة كتابة حروفه التي لا تمثل مصدرا للكتابة العربية، بالرغم من وجوده في أماكن ورقع جغرافية عربية، واِتفاق بعض الباحثين على أنّه هو الأب الأوّل والأبجدية الأولى التي خطت بها كل الكتابات، ومن بينها الكتابة العربية.

أصل الخط (النبطي):

وعن أصل الخط العربي حسب رأي هذه النظرية، يرى باحثوها المختصون أنّ: «الخط قد نشأ وتطور من شمال سوريا وحوران مع أهل هذه

---

[1] أصل الكتابة العربية، https://www.baiarat.com، 2022/04/17، 17:14.

[2] سمير بن بكار، آراء الباحثون في الخط العربي، 15 أبريل 2021، ص1-2.

المناطق ومع تجاراتهم التي كانوا يتنقلون بها من مكان لآخر، ويرون أنّه قد اِنتقل من هناك إلى الأنبار والحيرة عاصمة اللخميين في وادي الفرات ومنه إلى دومة الجندل ومن هناك فالمدينة المنورة ومنها إلى مكة والطائف»[1].

كما طرح أحد الباحثين طرحه في هذا الموضع وقال: «لأجيال عدة دار نقاش بين الباحثين حول أيّ اللغات المكتوبة بالخط الآرامي هي المصدر المباشر للخط العربي، فاِنتشر رأي على أنّ الخط المستخدم للكتابة باللغة العربية أتى من النصوص المكتوبة باللغة الآرامية التي تعود للأنباط الذين تمركزوا حول البتراء في جنوبي الأردن، وتكلموا اللغة ولكن كتبوا بالخط الآرامي، واِكتشفت نقوش أخرى تعود إلى القرون القديمة في وقت أحدث تشبه النص العربي، وقد تكون هذه النقوش أوّل دليل على أصول اللغة العربية، والمؤيدون للحروف النبطية يعتبرون هذه النقوش أوّل دليل على اللغة العربية وعلى الخط العربي وكان **ثيودور نولدكه** أوّل من أعلن هذه النظرية عام 1865م ولخص **برنارد موريتز** النظرية عام 1910م في مادة بعنوان (عربي) في الطبعة الأولى من (موسوعة الإسلام) والتي كررتها **نبيه أبوت**»[2].

مناقشة هذا الرأي:

جُلّ الآراء وجلّ الحروف تدل على أنّ خط النبط والأبجدية النبطية أصل للخط العربي، و«أصحاب هذه النظرية يؤكدون ويُصرون على ذلك (أنّه أصلاً للأبجدية العربية) وذلك راجع إلى التشابه المتواجد بينهما في الكثير من المواضع (الحروف)»[3]، ولو نرجع للمبحث الثالث لهذا الفصل نجد تأكيدًا لهذا الرأي من خلال عناصره ونقاطه المذكورة انطلاقا من أصل شعب الأنباط إلى تاريخهم نزولاً إلى تطور حرفهم وكتابتهم التي شبهت العربية وذاك التطور هو مَن جعلها مصدرًا ومنبعًا وأصلاً للحرف العربي (الخط العربي).

---

(1) خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطويره إلى ما قبل الإسلام، مطبعة بول باريه، حارة فايدة نمرة 8 عابدين، القاهرة 1935، ص 5-6-7.

(2) يُراجع، أصول الخط العربي مجلة البيان، 2015/12/08، العشاء 19:40، المصدر دنيس جونسون ديفز، ص 1.

(3) يراجع، مختارية بن قبلية، مقياس فقه اللغة، المحاضرة 05، الخط العربي بين المسند والنبطي، ص5.

خلاصة الفصل الأول:

اِستوقفتنا نقاط عدّة وشدّتنا ونحن نجول حول نشأة الخط العربي، كانت نقاط كثيرة لخصناها بطريقة بسيطة، وقفنا أوّلاً عند آراء العرب والباحثين حول (الخط العربي بين التوقيف والاختراع) وذكرنا عناصر وتوجهات تخص كلّ من الرأيين، لنزور بعده (خط المسند) الذي تعرفنا عليه وعلى أهله ومناطق تواجده وطريقة كتابته وأبجديته، لننتقل مباشرة إلى الكتابة السامية الثانية والمعروفة بـــ (خط النبط أو الكتابة النبطية) ورأينا كذلك أصله وتاريخه، ونوع كتابته وطريقة كلامه، لنجمع بعد ذلك بين المبحثين (الثاني والثالث) في مبحث رابع خصصناه لأصل الخط العربي هل كان مسندًا أم نبطيًا، وذكرنا بعض الآراء لنتوصل إلى نتيجة مؤقتة تقول: إنّ الخط العربي ذا أصلٍ نبطيّ، والتطور الذي شهدته الكتابة النبطية كان سببًا لهذا.

ومِنَ النشأة سنغوص في طرح جديد، والذي سيحملها لنا الفصل الثاني.

الفصل الثاني:
تطور الخط العربي

بعد أن شاهدنا في الفصل الأوّل الخط العربي في صورته القديمة (النشأة) وتنقلنا بين المراحل التي مرّ بها، «نستطيع أنْ نجمل تلك المراحل التي اجتازها خطنا العربي في خمس:

1- تلك الموروثة عن العربية البائدة (لغة اليمن القديم) وهي التي كانت قد عرفت عدة خطوط هي: الصّفوي (نسبة إلى جبل الصفا بحوران)، واللحياني (نسبة إلى بني لحيان) والثمودي ظنًّا من أن ثمود كانت تكتب به.

2- النبطي، وهو نوع من أنواع الرّسم الآرامي، وقد أسلفنا الحديث عنه في الفصل الأوّل، ولعلّ أوضح مثال على هذا الخط هو نقش النّمارة وهو شبيه كثيرًا بالخطوط الصفويّة واللحيانية والثمودية وخاصة في اقتصاره على الرّمز إلى الأصوات السّاكنة في الكلمة وفي تجرّده من الإعجام»[1].

كما أنّ خطّنا العربي «تأثّر بالخط السّرياني، ودخلته إصلاحات كثيرة منذ القرن السّابع الميلادي فتحوّل إلى خطّ سريع تدّون به المكاتبات العادية لا النّقوش وحدها كما كان شأن الرّسم السابق، ودخل فيه نظام الإعجام للرّمز إلى أصوات لا نظير لها في اللغات السّامية الشمالية التي نشأ فيها الخط السّامي القديم (ث.ذ.ظ.غ) والتميز بين الحروف المتحدة الصّورة والمختلفة النّطق (ب.ث.ذ.ج.ح.خ.ر.ز.س.ش) ولكنّه ظلّ طوال هذه المرحلة مقتصرًا على الرّمز إلى الأصوات السّاكنة، ومجرد من علامة للتمييز بين الحرف المشدّد والمخفف»[2]. وبعد أن تطور الحرف النبطي وأصبح ذا إعجام وفواصل وغيرها كان شبهًا بالأرضية الأساس التي وقف عليها الخط العربي، والتطور الذي مرّ به انقسم إلى أشكال عدة، ابتداءً من **صدر الإسلام**.

---

[1] يُراجع، محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة تلمسان، ص 124-125.

[2] فقه اللغة وافي، ص 253، نقلاً عن محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص 126.

تطور الخط العربي:

1- التطور في صدر الإسلام:

كان الاهتمام بالكتابة وتطويرها «منذ عصر النبوة، لشدة الحاجة إليها في تدوين القرآن الكريم، حيث استخدم خط جاف (stiff) أغلب زواياه حادة، عرف فيما بعد بالكوفي، وظلّ استخدامه متداولاً حتى نهاية القرن الرابع الهجري»[1].

يقول طاهر مكي في كتابه مصادر الأدب الجزء الأوّل: «يبدو أنّ أوّل نقش إسلامي عمومًا وصل إلى أيدي الباحثين هو ما وجد مكتوبا على قبر رجل يدعى (عبد الرحمان بن خير)، وقد عثر على هذا النقش في الفسطاط، ويعود تاريخه إلى سنة 31 هـ (652م) ولا يزال يوجد الآن بمتحف الآثار الإسلامية بالقاهرة»[2].

ونصّ النقش هو:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا قبر
لعبد الرحمن بن خير الحجازي اللهم اغفر له
وأدخله في رحمة منك وآتنا معه
استغفر له إذا قرأ هذا الكتاب
وقل آمين وكتب هذا
لكتب (الكتاب) في جمدى (جمادى) الا
خر من سنة أحدى و
ثلثين (ثلاثين).

أول ملحوظة شدّت الكاتب والباحث «أنّ الحروف خالية من النقط والإعجام، ومن الرمز إلى أصوات المدّ الطّويلة ولذلك اِختلف القُرّاء في بعض كلماتها كـ (الذي قريء) (جبر) (جابر) و (جبارة) و(جبير) وكذلك وقع الخلاف في الكلمة الخامسة من السطر الثاني، حيث قرأ بعضهم (الحجري) بدلاً من (الحجازي)...، والمهم في هذا النقش هو أنّ التأثير الإسلامي بيّن فيه، وكثير من كلماته يعتبر اِقتباسا من القرآن الكريم»[3].

---

[1] إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، دار الشؤون الثقافية العامة (أفاق عربية)، ط1، 2002، العراق، بغداد، ص 26.

[2] مصادر الأدب 1، ص 49، للدكتور طاهر مكي نقلاً عن محمد مرتاض، ص 127.

[3] محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص 127-128.

كما أضاف الدكتور محمد مرتاض نموذجين لتأكيد صحة كلامه وقوله بذلك تمثلا في رسالتين للنبي صلى الله عليه وسلم كان قد بعث بهما إلى (المقوقس عظيم القبط) و(المنذر بن ساوي ملك البحرين)، كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس عظيم القبط في مصر المرسولة مع (حاطب بن أبي بلتعة) وتحمل النص الآتي:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على

من اِتبع الهدى أما بعد فاني
أدعوك بدعاية الإسلام أسلم
تسلم يؤتك الله أجرك مرتين
فان توليت فعليك اثم كل القبط
يا اهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتّخذ بعضنا
بعض أربابا من دون الله، فان
تولوا فقولوا اشهدوا بأن مسلمون»[1].

أمّا عن الرسالة الثانية التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم مع (العلاء بن الحضري) إلى المنذر بن ساوي العبدي صاحب البحرين. فيقول في نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى
المنذر بن ساوي سلام عليك فاني أحمد الله
إليك الذي لا اله غيره، واشهد أن لا اله الا
الله وأن محمدا نبيه ورسوله اما بعد فاني اذكرك
الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع
رسلي ويتبع امرهم فقد اطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي
وأنّ رسلي قد أثنوا عليك خيرا واني شفعتك في
قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن أهل
الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن

[1] المرجع نفسه، ص 129.

أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»[1].

أعطى الكاتب الملحوظة نفسها التي اِنتبه إليها في النقش السابق، من أنّ الرسالتين خاليتين من الإعجام ولكنّهما محتويتان على أصوات المدّ الطويلة، والطابع الذي يميزهما أنّهما كبيرتا الصّلة بالخط الكوفي[2].

وعُثر على نقوش أخرى غير هذه مكتوبة بخط مغاير يسمى بالخط اللين (المستدير)، ويختلف هذا الأخير عن الكوفي – الخط اللين الذي «برزت أهميته في بداية أمره في بداية العصر الأموي حيث كان مخصصًا لكتابة الوثائق الأقل أهمية، ثم بدأ يكسب أهميته الخاصة من خلال اِستخدامه في الموضوعات الرسمية، وقد اِستعمل من قبل النساخ والوراقين والمصنفين والمترجمين الذين مثلوا حركة التأليف والترجمة التي تعاظمت واِنتشرت بسرعة، وبرزوا كأصحاب حرفة جديدة لها أهميتها»[3]، أمّا الكوفي فكان يكتب به على المباني والنقود ونسخ القرآن الكريم القديمة[4].

تطور الخط العربي وذاع صيته بالرغم من ظهوره في صورته الأولى من مراحله الأولى لا منقوط ولا مشكول، وخاليًا من علامات الإعراب والضوابط، لكن تلك النقائص شكلت عسرًا في القراءة بسبب دخول أجناس غير عربية في الإسلام.

اِجتهد العلماء آنذاك في تحسين ذلك الخلل والعائق الذي واجه الخط، فكان من بينهم (أبو الأسود الدؤلي) الذي «كان من الأوائل الذين برعوا في هذا الميدان، حيث وضع نقاطًا للحروف كانت بمثابة الحركات بلون مغاير ومخالف للون حبر الكتابة نفسها، وكان أبو الأسود تلميذا للإمام (علي كرّم الله وجهه) وقام بهذا العمل بهدى منه وتوجيهه.

وضع أبو الأسود الشكل في زمن معاوية بطلب من زياد أمير العراق، وكان ذلك بعد أن وضع النحو بإرشاد أمير المؤمنين سيدنا علي كرّم الله وجهه والسبب في ذلك أنّه لما اِنتشر الإسلام واِختلط العرب بالعجم وتناسلوا بدأ اللحن يظهر في ألفاظهم، فخشي العرب أن تفسد ألسنة زراريهم ويؤول ذلك إلى ضياع لغتهم،

---

[1] الخط العربي وتاريخه، ص 131.

[2] المرجع نفسه.

[3] التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، ص 26.

[4] يراجع، محمد مرتاض، ص 132.

وخافوا أنْ يتسرب الخطأ إلى القرآن، وهو عماد الدين وأساس الإسلام فأخذوا يفكرون في تدارك هذا الأمر لوقاية هذا اللسان قبل أن يصعب إصلاحه، وقد بدأ أبو الأسود بشكل المصحف، وقال لكاتبه: (خذ المصحف وخذ صبغًا يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فأنقط نقطة واحدة فوقه، وإذا كسرتهما فأنقط واحدة أسفله، وإذا ضممتهما فاِجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن تبعت شيئًا من هذه الحركات غنة فأنقط نقطتين) وأخذ يقرأ بالتأني والكاتب يضع النقط وكلما أتم صفحة راجعها أبو الأسود، حتى أعرب المصحف كلّه، ومن هذا يتبين أنّه هو أوّل من وضع الشكل في الخط الكوفي، وضع الفتحة والكسرة والضمة والتنوين، وضعها بهيئة نقط بلون يخالف لون المداد الأصلي للكتابة»[1].

أمّا الضوابط والحركات الأخرى (علامات الشكل) فكانت من اِجتهاد (الخليل بن أحمد الفراهيدي).

2- التطور في العصر الأموي:

هذا العصر كان بمثابة نقطة انطلاق (تطور الخط العربي) لأنّ الكوفة كانت مركزًا من مراكز التجديد والابتكار في الكتابة العربية عندما كانت مقرًّا للخلافة أيام (الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه) وبِانتقال مركز الخلافة إلى الشام، تحول الاهتمام بالخط إلى هناك، حيث بدأ الخط في الِانتشار، وساعد على هذا الِانتشار تجويد الخط وتطوير أدواته، واِشتغال كثير من النّاس بالكتابة وتدوين الأثر ونسخ المصاحف، فأخذ الخط يسمو ويرقى ويتحسن وعُدّ رجل من ذلك الزمن اِسمه (قطبة) رائدًا من رواد الخط، وقيل: إنّ على يده تحول الخط الكوفي إلى شكل أكثر مرونة مما كان عليه، وينسب إليه اِبتكار خط (الطومار)، وكذلك (القلم الجليل) والذي يُعرف الآن بالخط الجليّ، أي الكبير الواضح»[2].

وهذا التطور الذي شهده العصر الأموي جعل للخطاطين والكتبة طُرقا وسُبلا للِاستنباط والتجويد، بدأ كل كاتب يستخدم مواهبه الفنية في إيجاد إضافات جديدة،

---

[1] يراجع، مراحل تطور الخط العربي عبر العصور الإسلامية، المحاضرة الأولى، staffsites.sohag-univ-edu.eg/upl، 2022/04/25، 16:42، ص.3-4-5.

[2] عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2008، ط1، ص 34.

وساعد النتاج الثقافي للعصر على ذيوع الخط لكثرة التأليف، والحرص على إخراج الكتاب بشكل لائق جميل، وقيل حتى بعض المصاحف وكتب الحديث والسيرة كانت تُزخرَفُ وتُزَوّقُ وتُطلى بماء الذهب، وبذلك أخذت نهايات العصر الأموي تشهد نماذج جديدة وجميلة من الخط[1].

أمّا عن الناقل الأوّل للخط فهو «(الحسن البصري) الذي أخذ الخط بدوره عن علي كرّم الله وجهه»[2] .

كان الخط العربي في هذا العصر أكثر تقدمًا وتطورًا عن عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ففيه وجد الكتَبة والخطاطون أنفسهم، وبرزوا وظهروا وكشفوا عن أنفسهم بصورة واضحة وملموسة، لائقة بالخطاطين العرب، ومنه أخذ الخط يشق طريقه في الإرتقاء والتميز والتطور، ليكتمل نضجه في العصر العباسي الذي سنتكلّم عنه في النقطة الموالية.

التطور في العصر العباسي:

ونمضي مع تطور الخط العربي ففي «العصر العباسي تابع الخط تطوره وتفرغ إلى أحد عشر نوعًا وهي: (الديباج، والسجلات، والزنبور، والجليل، والعهود، والاسطوحار، والخرفاج، والمؤامرات، والقصص، والسجلات، والمفتح»[3].

ويُقال إنّ «أشهر مجودي الخط، والمتفننين الأوائل الذين تفردوا بالخط، قد نشأوا في بغداد، ومنها برعوا بخطوطهم، إذ كانت بغداد عاصمة الدولة على عهد العباسيين»[4]، وقد تعددت طرق إستخدام الأقلام في «أوائل الدولة العباسية– ولكل واحد منهم غرض معين وإستخدام خاص به، ونعيد ذكرها (قلم الجليل وقلم

---

[1] المرجع، نفسه.

[2] ينظر: ابن خلكان، وفيات الأحياء، ج3، ص4.

[3] يُراجع، عرين طبيشات، مراحل تطور الخط العربي، الرئيسة، 07:45، 2017/04/09، ص1.

[4] ابن النديم، الفهرست، تح: رضا تجدد، طهران 1971، ص7، نقلاً عن، إياد حسين عبد الله الحليمي، التكوين الفني للخط العربي، ص27.

السجلات، وقلم الديباج، قلم الطومار الكبير وقلم الثلثين وقلم الزنبور، قلم المفتح، قلم الحرم وقلم العهود وقلم القصص وقلم الخرفاج، وقلم المؤامرات »[1].

بعد أنْ اِنطلق تطور الخط العربي في العصر الأموي، شهد تطورًا عظيمًا في العصر العباسي، من اِبتكار للأقلام وتنوعها حتى الخطاطين قد برزوا بكثرة في هذا العصر. ومَن مِنّا لا يعرف المرحلة العباسية للعرب، كانت ولا زالت من أجمل المراحل شعرًا ونثرًا واِبتكارًا.

وذُكر في أحد المواضع عن الخط الكوفي أنّه «منذ العصر العباسي أخذ يتنوع حتى أربى على خمسين نوعًا أشهرها: المحرّر، والمربّع والمدوّر والمتدخل. وظلّ مستخدمًا في المباني والسّكة إلى القرن العاشر الهجري، وربّما كتب به المتحدثون الآن أيضًا وخاصّةً أولئك الذين يجنحون إلى الزّخرفة والجمال»[2].

شهدت الدولة العباسية في أوائلها خطاطان مشهوران، عُرفَا بجودة خطيهما هما: (الضحاك بن عجلان) في خلافة أبي العباس السّفاح، و(إسحاق بن جماد) في خلافة (المنصور والمهدي) وقيل عن هذين الكاتبين أنّهما كانا يخطان (الجليل) وعلى أيديهما تنوعت الخطوط وتفرعت، ثم تناهت البراعة في الخط على يد الوزير (اِبن مُقْلَة)، ثم (ابن البواب) فــ (ياقوت المستعصمي)، وكان هؤلاء الثلاثة أبرع مَن جَوّدَ الخط، فقد جعلوا العصر العباسي عصر اِزدهار الإبداع العربي في مجال الكتابة والخط[3].

1- تطور الخط العربي في عهود الفاطميين والأيوبيين والمماليك:

في هذه المرحلة جمعنا بين (عصر الدولة الفاطمية) و(عصر الدولة الأيوبية) و(المماليك) وتحديدًا في (مصر).

نبدأ بداية بـــ**عصر الدولة الفاطمية** «كان الخط العربي في العصر الفاطمي ذو شأن كبير فقد كتبه المصريون على القباب والمآذن وفي الأروقة وقصور

---

[1] المرجع نفسه، ص28.

[2] يُراجع، الخط العربي وتاريخه، محمد مرتاض، ص 136.

[3] يُراجع، عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، ص 35.

الخلفاء وأضرحة العلماء، بل زينوا به واجهات الحمامات والمكتبات العامة وواجهات السجون والأماكن العامة ومضامير الخيل، وظهر خطّين في مصر هما الخط (الكوفي الفاطمي) والخط (الفاطمي) امتاز كل منهما بهويته وطابعه الخاص الذي ميزها عن جميع الخطوط الأخرى، اِنتعشت مصر ثقافيا خلال العصر الفاطمي وازدهرت صناعة الكتب وتجليده وزخرفته وتسويقه بل إنّ في ذلك العصر اخترع لأوّل مرة (قلم الحبر السائل) مع خزان الحبر الصغير والريشة، وإعطاء مخترعه (ابن صاعد الرحبي) هدية للخليفة لكنّه لم ينشره أو يصنع منه أقلاما أخرى ليبيعها للنّاس، نظرًا لكثرة أنواع أقلام الخط دقيقة الصنع الموجودة بالفعل في ذلك الوقت والتي كانت تبلغ ريشتها جزء من عشرة من السنتيمتر الواحد وكتبوا بها مصاحف صغيرة جدًا للجيب.

عصر الدولة الأيوبية والمماليك: بعد سقوط الدولة الفاطمية على يد الأيوبيين واِستيلائهم على القاهرة اِنتشر خط الثلث، وسماه البعض بالخط الأيوبي، وزينوا به أبواب المدارس الأيوبية والمساجد الكبرى ودور القرآن، وبدأت الخطوط المستديرة تحل محل الخطوط الكوفية على الأبنية والقصور، ثم أعاد **المماليك** اِستخدام الخط الكوفي كعنصر زخرفي، ولكنّه اِنتشر بشكل كبير فَزُيّنت به أبواب المدارس والمساجد والمخانق المملوكية وقاموا كذلك بتجديد خط الثلث والثلثين الذي استخدموه في تدوين السجلات في العصر المملوكي –كما كان من قبلهم في الدولة العباسية– ويظهر ذلك جليًا في مسجد السلطان حسن»[1].

تطور الخط العربي في عصر العثمانيين:

ظهر الخط العربي عند العثمانيين بأبهى وأروع صوره في فنهم، لأنّ الخط «اِنتقل لهم وراثة عن مدرسة تبريز والتي ازدهرت في الخط وفي صناعة الكتاب وبجميع ما يتعلق به، كذلك من صناعة الورق والخط والزخرفة والتجليد والرسوم والتذهيب وغيرها، كان هذا التفوق الذي أحرزوه بفضل أساتذتهم الإيرانيين وأصبح العثمانيون مدرسة مستقلة مشهورة في خط الثلث وأصبح الكثير من

---

[1] تاريخ الخط العربي، https://www.baianat.com، ينظر: ديماند، م.س. الإسلامية، تر: أحمد محمد عيسى، دار المعارف، مصر، 1982، ص77.

الخطاطين الأتراك معروفين حتى الآن بمصاحف كثيرة محفوظة في المتاحف التركية»[1].

وقد نضجت للخط العربي صورته وأشكاله «وسار به الخطاطون العثمانيون خطوات كبيرة عدت تفوقًا هائلاً في مجال الخط العربي، ويعود هذا التفوق للاهتمام الكبير والتشجيع الذي لقيه هذا الفن وأهله من قبل السلاطين العثمانيين، بل وكان بعض هؤلاء السلاطين أنفسهم من كبار الخطاطين»[2].

كما تميّز فن الخط في المرحلة العثمانية ومرّ بمراحل مهمة ذات تأثير كبير ومباشر، وفي أوائل مراحلها ظهر المُكنّى بإمام الخطاطين في تركيا **الشيخ حمد الله الأماسي** بعد **ياقوت المستعصمي**، لأنّ الشيخ حمد الله الأماسي سار على طريقة ياقوت وأتقنها، وفي أوائل القرن العاشر الهجري (السادس الميلادي) وصل الخط العربي إلى أعلى المواصل في أرجاء الإمبراطورية العثمانية وذلك راجع إلى أسلوب الشيخ[3].

اِبتدأت في أواخر القرن نفسه مرحلة من أبرز المراحل التي مرّ بها الخط عند العثمانيين، بَرَزَ فيها ما يسمى بخط الثلث الجلي، والذي قام بإبرازه جنبًا إلى جنب مع خط الثلث هو **مصطفى الراقم** الذي يعد من أهم الأعلام في تاريخ الخط العربي، وتميزا عن سائر الخطوط بإمكانيتهما في تكوين تراكيب جميلة، ممّا ساعد ذلك على ظهور مفهوم اللوحة الخطيّة وكان ذلك أصعب ما مارسه الخطاط[4].

وقيل عن الخطاطين الأتراك أنّهم: «اِستخدموا خط النستعليق بصورة متميزة عن النستعليق الإيراني، واِبتكروا الخط الديواني و(الجلي الديواني) اللذان استخدما في المكتبات الرسمية والفرمنات وغيرهما، كما ظهر خط الرقعة الذي اِكتسب أسلوبًا خاصًا على يد (الخطاط محمد عزت)، واِستخدم في الكتابات الدارجة

---

[1] يُراجع، تاريخ الخط العربي، https://www.baianat.com، 2022/4/29، 11:47.

[2] يُراجع، محمد طاهر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، مكتبة الهلال، 2007/04/07، ص 73.

[3] يُراجع، إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص33.

[4] إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، ص33.

والسريعة، كما يُعد الخطاطون الأتراك أول من كتب الحلية، في أواخر القرن الحادي عشر الهجري (السابع الميلادي) وقد أبدعوا فيها وتوارث أغلب الخطاطين كتاباتهم بأسلوبهم المتفرد وصياغتهم الخاصة»[1].

مرّ الخط العربي في المرحلة العثمانية بدايةً بالتقليد للخطوط ثم تخطّاها إلى مرحلة التحسين عندما كُتبت الخطوط بقسم أكثر جمالاً، بعدها دخل إلى مرحلة الابتكار، اخترع للخط العربي أشكال جديدة والعثمانيون نظروا إلى فن الخط نظرة الجمال الفني، واِعتبروه فنًا قدسيًا لصلته الوثيقة بكتابة كلام الله، وهذا ما جعله في ازدهار وتطوير معهم[2].

اللغة العربية شقّان وحدّان، شقٌ منطوق والآخر مكتوب «أمّا عن الخط العربي فهو الجانب الجمالي للكتابة، فهناك فرق بين معنى الكلمة (خط) وكلمة (كتابة)»[3]. تحمل الكتابة في معناها على أنّها «تسجيل الأفكار والمعلومات لحين الرجوع إليها، ورغم الفارق بين معنى الكلمتين فقد جرت العادة على اِستخدامها بمعنى واحد، فالخط هو الكتابة والكتابة هي الخط»[4]. وقد قيل في الخط على أنّه «لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووصيٌ الفكر، وسلاح المعرفة، وأنس الإخوان عند الفُرقة، ومحادثتهم على بُعد المسافة، ومستودع السر، وديوان الأمور. وأضاف في هذا الموقع (علي بن أبي طالب رضي الله عنه): (عليكم بحُسن الخط فإنّه مفتاح الرزق). وقال عمرو بن مسعدة (الخطوط رياضُ العلوم، روحها البيان، وبدنها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول وتصنيفها كتصنيف

---

[1] المرجع نفسه، ص 34-35.

[2] المرجع نفسه، ص 35.

[3] رطيل محمد، فنون وقواعد الكتابة العربية الإملاء والخط العربي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، طبعة 2012، الإسكندرية، ص 56.

[4] المرجع نفسه.

النغم واللحون) أمّا عن إقليدس فقال عنه (هندسة روحانية وإن ظهرت بآلة جسمانية»[1].

وعن فخر المأمون بخطنا العربي، قال: «(لو فاخرتنا الملوك الأعجام بأمثالها، لفاخرناها بما لنا من أنواع الخط: يُقرأ بكل مكان، ويُترجم بكل لسان، ويوجد مع كل زمان). ويُضيف محمد طاهر الكردي قائلاً: (الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم، على قواعد مخصوصة، كحركة الأنامل على أوتار آلات اللهو والطرب)، وقال النظّام (الخط مسْمطٌ الحكمة، وبه تفضل شذورها، وينتظم منشورها). وقد أدرج السيوطي في رسالته (رشف الزلال) قطعة شعرية أورد فيها أنواع الخطوط وأسماء الأقلام المتداولة في عصره فقال:

تعليق ردفك بالخصـــر الخفيــف * * ثلث الجمال وقد دفته أجفـــــــانُ
فدٌ عليه ريـــاض الحســـن قد طلعت * * وفي حواشيه للصدغين ريحـــانُ
محقق نسخ حبرى على هــواه ومن * * توقيع دمعي بالمنثور بُرهـــــانُ
يا حسنَ ما قلـــم الأشعـــار خطٌ على * * ذلك الجبين فلا يسلوه إنســـــانُ
أقسمت بالمصحف الشامي ومصحفه * * ما مرّ بالبال يومًا عنـــك سلوانُ
ولا غبـــار علـــى حبي فعنـــدك لي * * حساب شوق له في القلب ديوانُ»[2].

الجمالية في الفن العربي الإسلامي:

يُعد الخط العربي من أهم الفنون التي أبدعتها الحضارة العربية الإسلامية ولا شك «في أنّه من أرقى الفنون، فهو ينمي القدرة على التذوق الفني ويكسب المهارة اليدوية، ويربي كثيرًا من القدرات، كالانتباه والملحوظة ودقة الحكم على

---

[1] عادل اللوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 2008، ص5.

[2] عادل الألوسي، الخط العربي ونشأته وتطوره، ص6.

الأشياء، ويكوّن كثيرا من العادات كالنظام والترتيب والنظافة والصبر والمثابرة»[1].

وقد حظي في الحضارة العربية الإسلامية بأهمية كبيرة «فقد ظهرت الحاجة إليه منذ بداية النهوض الحضاري الذي شهدته الأمة العربية في صدر الإسلام»[2].

ويكفي الخط فخرًا وعزًا، «أنّه أوّل ما نزل على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من آيات قوله تعالى: ﴿**[...] اِقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم**﴾، وأنّ الرسول الكريم وأصحابه والتابعين من بعدهم كانوا يولونه عناية فائقة، فأبدع فيه الفنان المسلم أيّما إبداع، وخير شاهد على ذلك ما نجده من روائع الخطوط في المصاحف وفي بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف، وكثير من بيوت الله في شتى بقاع الأرض، وفي المتاحف والمعارض»[3].

كما يرى الجاحظ الجمال لدى العرب القدماء، معناه التمام والاعتدال وعن ذلك يقول: «وأنا مبين لك الحسن، وهو التمام والاعتدال ولست أعني بالتمام تجاوز مقدار الاِعتدال، كالزيادة في طول القامة، وكدقة الجسم أو عظم الجارحة من الجوارح أو سعة العين أو الفم، مما يتجاوز مثله من النّاس المعتدلين في الخلق، فإن هذه الزيادة متى كانت فهي نقصان من الحسن وإن عدت زيادة في الجسم... وكل شيء خرج عن الخلق في حد، حتى الدين والحكمة اللذين هما أفضل الأمور فهو قبيح مذموم»[4].

أمّا الاِعتدال فقال عنه «وزن الشيء لا الكمية، والوزن هو الاِستواء في تركيب الأجزاء بصورة متناسبة لا يشذ بعضها عن بعض، وفي هذه الرؤيا تتجسد

---

[1] رطيل محمد، فنون وقواعد الكتابة العربية الإملاء والخط العربي، ص 56-57.

[2] يُراجع، بن لباد رفيقة، الخطوط العربية في كتابة القرآن الكريم، الخط المغربي في شمال إفريقيا أنموذجًا، مجلة علوم اللغة العربية وأدابها، العدد: 2، ص 120.

[3] المرجع نفسه، ص 57.

[4] ينظر: الجاحظ أبي عثمان عمر بن بحر، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1924، ص162-163.

النظرة إلى الجمال، فهي الصورة المعتدلة التامة، ولكنها في الوقت نفسه لا تخضع إلى مقاييس مطلقة، وإنّما تختلف بإختلاف البيئة والزمان، وتبقى متصلة بالمفاهيم التي إستمدها الإنسان من الطبيعة وتوازنها. لقد أدى ذلك إلى تقسيم الجمال إلى جمال طبيعي وجمال فني لا يخضع أحدهما لمقاييس الآخر»[1].

والتعبير الجمالي في الفن الإسلامي يعتمد على «مقولات واضحة المتمثلة في الرقة والوقع اللطيف، والنظافة والصفاء، والصقل والمتانة، في حين لا توجد مصطلحات مثل (غير متناسق) أو (لا تماثلي) أو (فج) والتي تعبر عن ضآلة العمل الفني، وعن ذلك يقول جمال الدين الرومي: (كل ما كان جميلا رائق الحسن فقد صنع من أجل الإحساس السليم الذي يدركه ويتذوقه)، وهذه الصفات التي يتميز بها الفن الإسلامي جعلته يبتعد عن تعقيدات ومصاعب الحياة البشرية وإحباطاتها، ومظاهر تعاستها بطريقة يمكن أن توصف بالوقار، والفرح في آن واحد، وبأشكال ذات لغة شفافة، نجحت في جعل المشاهد يتأمل بدهشة، وهذه القدرة هي التي تعطي للفن الإسلامي طابعه الخاص الفريد»[2].

الجمالية في الخط العربي:

قد قيل إنّ الخط العربي بدأ وسيلة لنقل العلم والمعرفة بشتى جوانبها، «واستخدم في كتابة القرآن الكريم، ومنه إكتسب صفته القدسية، التي جعلت الخطاط ينطلق لتجويد حروفه، وتحسينها، من أجل الوصول بها إلى الكمال، وأصبح الخط فن غايته الكمال، إنطلاقًا من نظرة الفلسفة الإسلامية إلى الإتقان والكمال كمرادفات للجمال أو كشاهد أو عليه»[3].

---

[1] إياد حسين عبد الله حسيني، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، ط1، بغداد، العراق، 2002، ص73-74.

[2] المرجع نفسه.

[3] إلياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص74.

وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: «كل شيء، فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كانت جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو غاية الجمال.. والخط الحسن كل ما يجمع ما يليق من تناسب الحروف وتوازنها واِستقامة تركيبها وحسن اِنتظامها ولكل شيء كمال يليق به، فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به»[1].

كما ذكروا أمرًا عن الخصائص الجمالية للخط العربي وقالوا بأنّها لم تتضح في بداية وأوّل عهد للكتابة، وأرجعوا ذلك إلى ضعف الاِهتمام بها، حتى تشبهت بالكتابة النبطية القديمة كقطع الحجارة القديمة الخالية من الحياة، لكن تطورت وتهذبت بعد ذلك ووضعت لها قواعد، واِكتسبت صفة التبجيل، لكونها أداة التعبير عن القرآن[2].

والخط العربي قد أنشأ «رسوما بصرية محتفظة بما يتحرك في المحيط العربي، وقد اِتخذه أصحابه (العرب) في البداية وسيلة للمعرفة ونقلا للأفكار ثم اِكتسب قداسته عندما سجل به القرآن الكريم»[3].

والجمال الفني للخط العربي يكمن في «درجة الإتقان والإجادة، التي تمثل درجة الكمال، وتكمن في التناغم الموسيقي الخفي، الذي ينبعث من إيقاع الحروف وتكرارها، واِتصالها، وتطابقها، وتشابهها، وحركاتها، واِتجاهاتها، كما يكمن في رقة أشكال الحروف، لتناسب أجزائها وهذه الصفات ونظافة أشكال الحروف، سبب في حسن الخط، ممّا يساعد ذلك على الاِنتظام في الكتابة والتسلسل المنطقي والوضوح»[4]، وهذا ما يشد الانتباه ونلتفت إلى أنّ «خطنا العربي جميل جدًا إلى درجة أن يتوهم للمتمعن في بعض أنواعه أنّه لوحة تجريدية، وهذه اللوحة راجعة

---

[1] يُنظر: الصايغ سمير، الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1988، ص 233.

[2] المرجع نفسه، ص74.

[3] مكي دراد، تعليمية الكتابة العربية من التشكيل إلى التحويل، مجلة جسور المعرفة، العدد: 05، ص98.

[4] يُراجع، إلياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص74.

إلى مزايا حروفه العديدة، القليلة الصوّر فنجد فيها: **س.ش، ج.ح.خ، د.ذ، ر.ز...،** وهي سهلة القراءة دون نقط»[1].

اِكتسبت أشكال الخطوط هذه الصفات وهذه الصورة التجريدية مظهرًا أكثر جمالية ووضوحا مع «(ابن البواب) أكسبها الحسن والرشاقة والليونة، وتلك الخصائص الجمالية لقد أوجزها وشرحها (ابن البصيص) على طريقة (ابن البواب) بأربعة أركان تمثلت في:

1- **الأوضاع:** وهي الحالات والأشكال التي وضعها ابن البواب في موصول الحروف ومفصولها ومواقعها، ولكل من هذه الحالات خصائص فنية في اِستقامتها واِنحنائها واِنكبابها.

2- **التناسب:** أي أن تكون الحروف كلّها بنسبة واحدة، وفق نسبة الخط المنسوب لابن مقلة، واعتبرت النسبة شرطًا من شروط الخط الجميل.

3- **المقادير:** وهي التي لا تزيد ألفها على لامها ويكون بينهما بياضا متساويًا في حالة تكرارهما، وهذه المقادير وحسن اِختيارها هي التي توحد الكتابة.

4- **البياضات:** ويقصد بها الفراغات الحاصلة بين الحروف، أن تكون ذوات وقع مناسب وتكرار منتظم.

وآخر المدعو (الطيبي) قد حددها بستة خصائص، أولاً **الانتصاب،** ثانيًا **الرشاقة** ويليها **الامتداد** وبعده **التدوير** ثم **التناسق** وتنتهي الخصائص بال**تناسب،** هذه الخصائص تعبر عن الحالات التي تتخذها الحروف بواسطة الخطوط لإبراز حيويتها، وتجسد القابلية للعديد من الحروف على الامتداد، وعملها الأكبر هو تخيف ثقل الكتابة»[2].

ومن خواص الكتابة العربية والرسم العربي أيضًا «أنّها تحتوي على حروف لا تحلم بعض اللغات الأخرى بالتطاول إليها، وخاصّة حرف **الضاد** الذي لُقِبت العربية باسمه، فهو مقصور عليها خاصّ بها، كما أنّ لغة مثل الفرنسية لا

---

[1] يُراجع، محمد مرتاض، 138-140.

[2] يُراجع، إلياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص75-76.

يمكن أن يزعم أهلها أنّ لهم فيها **ح،ذ،ط،ظ،ع،ق...**، وقس على ما بقي من اللغات الأخرى»[1].

ولا يسعنا اليوم إلاّ أن نقول: «الخط العربي هو أهم الفنون التي أبدعتها الحضارة العربية الإسلامية وأكثرها اِنتشارًا في بلاد العرب والمسلمين على السواء، إذ هو حاضر في أنواع العمائر كما في الأواني والأثاث والملابس، إنّه ليس فنًّا ترفيهيًا أو جماليًا عاريًا عن الوظيفة، وإنّما هو صناعة تُثير في النفس أصدق مشاعر التوقير والإجلال ويشعر المسلم بأنّه عضو في الأمّة الإسلامية، إذ هو قبل كل شيء أداة للتعبير القرآني، وهو هندسة روحانية بآلة جسدية تجمع بين تجريد المعنى ومادية الرسم وتحيط الناظر بأطر جمالية معرفية تمزج المادي بالمجرد فيرى نفسه فيه ويعمل على تجاوز المادي بحثًا عن المجرد تمكينًا لإيمانه بالله العلي القدير وسعيًا به إلى الرقي في درجات الكمال»[2].

ففنُّنًا في الخط العربي فن قائم بذاته، وهو ككل فن مستقل بذاته يقيم له منطقا جماليا، تحكمه بالضرورة خصائصه وأساليبه ومساره.

تعددت أنواع الخطوط والأقلام في كتابتنا العربية، وهذا التنوع أعطى للأبجدية العربية تميزًا فريدًا عن سائر الكتابات الأخرى، بدأت بالخط (الحيري والأنباري والنبطي) وهذا كان قبل الإسلام وقد تكلمنا عنه في الفصل الأول (نشأة الخط العربي)، ثم ظهر خطّان مع مجيء الإسلام (المدني والمكي) مع خلافة علي رضي الله عنه وجمعوها في اِسم واحد (الخط الحجازي) نظرًا لاِنتقالهما من الحجاز.

---

[1] محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص 140.

[2] محمد النعسان، تطور الخط العربي وعالميته، https://hibastudio.com، 2012/12/05.

وحصر بعض الباحثين الأقلام في ثمانية «(الطومار، ومختصر الطومار، والثلث، وخفيف الثلث، والتوقيع، والرقاع أو (الرقيعة)، والمحقق، والغبار»[1].

1- ونستهل بداية ترتيبنا للخطوط بـــ **قلم الطومار:**

جاء في صبح الأعشى عن الطومار بأنّه «الكامل من مقادير قطع الورق، فأضيف هذا القلم إليه لمناسبة الكتابة به فيه... وهو قلم جليل قدّر الكتاب مساحة عرضه بأربع وعشرين شعرة من شعر االبرذون، وبه كانت الخلفاء تكتب علاماتهم في الزّمن المتقدم في أيام بني أميّة فمن بعدهم... ويكون من لبّ الجريد الأخضر ويؤخذ من الفتحة ما يسع رؤوس الأنامل»[2].

خواص قلم الطومار[3]:

يمتاز خط الطومار بمجموعة من الخصائص التي تسهل تميزه ومعرفته من بين باقي الخطوط، ومن أشهر هذه الخصائص:

ضخامة الحجم.

وضوح المعالم.

دقة النهايات.

حرف الفاء والقاف تكون أواسطها محدودة وجنباتها مدورة.

ونجد أيضًا:

أن مستدراته كلّها تكون بوجه القلم، المدّات بسنه والتعاريق بوجهه.

أنّ الميم منه تكون مفتوحة مدورة، والفاء والقاف فيه أوسطها معدّدة، وجنباتها مدّورة.

أن يكون البياض بين الأحرف كمثله بين السّطور.

أن يكون الفصل من جانبي القرطاس متساويًا في المقدار.

ألا يكون في صاد مدوّرة ولا كاف مشكولة[4].

---

[1] يُراجع، محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص52.

[2] صبح الأغشى، القلقشندي، ج3، ص151، نقلاً عن، محمد مرتاض، ص 52، 53.

[3] سمر بني بكار، خط الطومار، 2020/11/14، https://e3arabi.com.

[4] ينظر: الخط العربي وتاريخه، محمد مرتاض، ص53.

ملحوظة:

يقال إنّ الخط العربي الحديث قد تحرر من هذا الخط (الطومار) وذلك راجع إلى الغلو الكبير الذي فيه، في التزيين والتداخل ولم يعد له أثر إلا بين الجدران وعلى محارب المساجد القديمة.

2- خط الثلث:

ويقال عنه «الثلث بحذف المضاف وهو الذي يكتب به في قطع الثلثين... وهو إلى التقرير أميل منه إلى البسط وهو على نحوين:

أ- الثلث الثقيل: وقال فيه ثقيل الثلث، وهو المقدّرة مساحته شعرات من شعر البرذون.

ب- الثلث الخفيف: وقال فيه خفيف الثلث، وهو الذي يكتب به في قطع النّصف، وصوره كصور الثلث الثقيل، إلاّ أنّه أدق منه قليلا وألطف مقادير منه بنزر يسير»[1].

وهو خط اِختلفت الآراء في سبب تسميته بهذا الاسم (خط الثلث) «ممّا لا شك فيه أنّ هذه التسمية ترجع إلى مقارنة حجم خط الثلث بحجم خط الطومار، ويبلغ سمك سن قلم الثلث ثمان شعرات من شعر البرذون ثلث سمك سن قلم الطومار»[2].

ترتبط التسميات في القديم بعرض أقلامها «وهو ذو حروف كبيرة، تشغل حيزًا واسعًا فوق سطر الكتابة، ويمكن حصرها بين خطين، أحدهما أعلاه، والآخر أسفلها، وينتج عن ذلك فراغات كبيرة بين الحروف، تملا عادة بعلامات الشكل ويكون بعض هذه العلامات وظيفية، والأخرى تزيينية، ويبلغ عرضها ثلث عرض الحرف، ونظرًا لكبر الحروف ودقة مقاييسها في الوقت نفسه، ولوجود حركات وفركات قلم متعددة في الحرف الواحد فقط الثلث يعد من أصعب الخطوط العربية ويحتاج إلى مهارة كبيرة، وأبرز أشكاله التراكيب الفنية، التي تتمثل في تداخل الحروف وتشابكها، ومدها، وحسن اختيار مواقعها وتطابق أشكالها، وتكتب نقاط

---

[1] المرجع نفسه، ص 55.

[2] يُراجع، مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، ط1، يناير 1991، ص58-59، ينظر: القلقشندي، صبح الأغشى، ج3، ص47-49.

حروفه منفصلة، وتكون غالبا مربعة تنحو نحو الإستطالة وأحيانا دائرية، ويعتبر هذا الخط من أكثر الخطوط تعبيرًا عن القيم الفنية للخط العربي وإمكاناته»[1].

يُعدُ قلم الثلث من الخطوط اللينة المنبثقة والمشتقة من الطومار، «فشاع الخلط بينه وبين الخط النسخي في كثير من كتب مؤرخي الفنون وهذا الخلط راجع إلى نوعية الخطين كلاهما من الخطوط اللينة الناتجة عن الطومار»[2]. أمّا عن ظهوره فكان في «خراسان منذ أوائل القرن السادس الهجري (12 م) ومنها اِنتشر بعد ذلك إلى الموصل ومن الأمثلة على ذلك إبريق من النحاس الأصفر المكفت بالفضة يزخرف رقبته شريط من كتابة بخط الثلث الذي تنتهي قاماته بأشكال آدمية وهو من عمل شجاع (بن منعة الموصلي)، وقد اِنتقل هذا الأسلوب من الخط من الموصل إلى مصر ودمشق بعد هجوم المغول على الخلافة العباسية وقضائهم عليها سنة 656 هـ، حيث هاجر الصناع إلى بلاد الشام ومصر التي تأثرت بأسلوب المدرسة الموصلية في صناعة وزخرفة المعادن»[3].

3- خط التعليق:

وعن قلم التعليق يقولون: إنّه «من الخطوط المشتقة من خط الثلث التي شاع اِستخدامها في بلاد الفرس، وقد اِنتشر اِستخدام خط التعليق على الأثار الإسلامية والفنون التطبيقية منذ القرن 7 هـ (13 م)، وتتميز حروفه بالرصانة والإسترسال مثلها مثل خط الثلث وبأن كاسات حرف الدال والراء والهاء والحاء وما على شاكلتها مقصورة وذات تخانات منغمة تتنوع من الشكل الرفيع إلى السمك»[4].

يقول أحدهم عن تسميته كأنّها تدل إلى تشابك حروفه، أي «كأنّ حروفه قد علقت ببعضها، وأنّه يتصف بالتباين الواضح في شكل الحروف ومساحتها وسبب ذلك هو كتابته بقلمين مختلفي العرض، فيبلغ عرض أحدهما ثلث عرض القلم الآخر، فلا يكاد يستقر القلم في عرضه حتى يتغير فجأة إلى ثلث عرضه، كما

---

(1) إلياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، ص92.

(2) يُراجع، مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، ص 59.

(3) المرجع نفسه.

(4) مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، ص 60.

يحتاج إلى رسم العديد من أجزاء الحروف بواسطة رأس القلم لكي يكتمل شكلها، كما يغلب على أشكال حروفه، إستدارات كبيرة، بيضية الشكل ومفتوحة، يتولد عنها فراغات واسعة، ذات أهمية في إبراز شكلها المميز»[1].

ملحوظة:

هو خط خالٍ من الشكل والعلامات، ونقاطه قصيرة تكتب على شكل منفصل عن الحروف وعن بعضها. وإن تكلمنا عن تحسينه وتجويده، فإنّنا سنذكر أصحاب الفضل في ذلك الاجتهاد: «(مير علي التبريزي المعروف باسم (قدوة الكتاب) الذي عمل في خدمة تيمور وخَلَفَه اِبنه (عبدالله) فأكمل ما بدأ به أبوه في ذلك المجال وقد تتلمذ على يدي عبد الله تلميذان ذاع صيتهما في تجويد الخط هما (جعفر التبريزي) الذي عمل للأمير بايسنقر والثاني (أظهر التبريزي) الذي سافر إلى عديد من البلاد الإسلامية فاِنتشر أسلوبه في الخط وتتلمذ على يديه (سلطان علي المشهدي) الذي حقق شهرة كبيرة في مجال تجويد الخط، وقد عمل في خدمته (حسين ميرزا) بمدينة هراة ثم خلفه أبناؤه كما ذاع صيت (محمود النيسابوري) سنة 952 هـ في عهد اسماعيل الصفوي فكتب له المخطوط المشهور للشاعر نظامي (المنظومات الخمسة) المحفوظ بالمتحف البريطاني. وقد اِنتقل بعض الخطاطين الإيرانيين إلى القسطنطينية ونقلوا أساليبهم في الخط إليها ومنهم (قاسم التبريزي) ويعتبر العصر التيموري العصر الذهبي الذي نال فيه الخط والخطاطون رعاية كبيرة وتشجيعًا من الدولة»[2].

4- الخط الديواني:

قيل إنّ هذا النوع من الخطوط العربية قد خُصّص لكتابة الرسائل الدّيوانية، «وهذا الخط فضلا عن الكتابة به فقد وقع عليه الاختبار ليمتزج مع التزيينات في جدران المساجد والقصور أحيانا، وقد ذكر الأستاذ (ناجي زين الدين) أنّه اختير

---

[1] يراجع، إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص97.

[2] مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، ص 61، وينظر: زكي حسن، الفنون الإيرانية، دار الكتابات المصرية، 1946، ص66-71.

للكتابة به بأسفل الطّغراءات، وذلك لانسجامه ومجانسته كتابة الدّيوان الأعلى في الدّولة التي يرأسها السلطان تمييزًا لِاسمه المقدس وبعده العامّة»[1].

وهو من الخطوط العربية «ذوات الحروف المتوسطة، فيه إستدارات دقيقة، تشكل جزءا من دوائر مختلفة الأقطار، على الرغم من هذه الاستدارات، فهو ذو شبه بخط الرقعة وفي العديد من حروفه، وتعتبر حروفه ذات مرونة كبيرة يمكن التصرف بها من خلال المد والاتصال والتركيب حتى وإن كانت منفصلة، وتبتعد حروفه أحيانا عن سطر الكتابة الأفقي لتشغل حيزًا أكبر وهو خالي من الشكل والعلامات (الضمة، والفتحة...الخ) ويكتب بصدر القلم ولا يعتمد على حركة القلم الطبيعية فقط، إذ يتطلب غالبا إلى تحريك القلم بصورة دائرية (فركة)، كما يتطلب رسم نهايات الحروف ذوات التشظية، وعيون الحروف فيه مطموسة -خاصة المنفصلة منها- أمّا نقاطه فيمكن كتابتها متصلة مع الحروف أو منفصلة»[2].

5- الخط النسخي:

وهذا الخط إنطلق من شمال الشام بعد التطوير والتعديل الذي طرأ عليه من خلالهم، أصبح سهلا سريعا تُكتب وتُحرر به الكتب والرسائل وغيرها، أمّا تسميته بالنسخ فذلك راجع إلى كثرة إستخدامه في النقل والاستنساخ -نسخ المصاحف- التي بدأت تُنسخ به منذ أوائل القرن السابع الهجري، وهناك مَن يقول الرابع الهجري.

واِستمر تداوله لقرون طويلة «وذلك يؤكد على أدائه الوظيفي بطريقة تتعذر على بقية الخطوط العربية وذلك لأنّ حروفه تمتاز بوضوحها واِعتدال نسبها واِنتظامها، ودقة أشكالها مما يتولد عن اِتصالها ببعضها فراغات تشكل إيقاعات منتظمة، كما تمتاز حروفه بمرونة كبيرة في المد والتركيب فوق سطر الكتابة بما يحقق وضوحا وتوزيعا منتظما لها، ويستخدم فيه الشكل بصورة معتدلة، يحقق سلامة القراءة، والنحو، وتكتب نقاطه منفصلة عن الحروف وعن بعضها، وتوضع أحيانا بصورة عمودية فوق بعضها، ولِانتظام حروفه فوق سطر الكتابة، أهمية في حصرها بين خطين وهميين من أعلاها ومن أسفلها كما له -في دقة مقاييسه

---

[1] محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص100، وينظر: بدائع الخط العربي، ص 477.

[2] إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص 101.

وأشكاله– شبها كبيرًا بخط الثلث أكثر من الخطوط الأخرى ويكتبان أحيانًا بصورة متلازمة»[1].

ملحوظة:

قلم النسخ من الخطوط اللينة لكن خطوطه «المنحنية تنحو العديد من أجزائها إلى الإستقامة الدقيقة ذات النهاية المقوسة التي تحتاج إلى فركة قلم عند كتابتها لِاستقامة العديد من أجزائه»[2].

6- الخط الكوفي:

تقول إحدى الدراسات، أنّ هذا الخط قد وقع الكثيرون في وهم تسميته (الكوفي) ونسبته، إذ ذهب بعض الدارسين إلى حكم خطأ حينما زعموا بأنّه سميّ بالكوفي نسبة إلى مدينة الكوفة.

ولم ينتبهوا إلى أنّه قد ظهر قبل الإسلام وقبل تأسيس مدينة الكوفة، «ولو رجعنا إلى النقوش الأولى (نقوش حوران، ونقش النّمارة ونقش زيد) وغيرها من النقوش، فكلّها ستدل على أنّ العرب ورثوا عن الأنباط خطّا يميل إلى التربيع، ممّا يجعلنا نطمئنّ إلى أنّ أصل هذا الخطّ نبطي، ولكنه عرف تطورًا بلا شك على أيدي رجالات هذه المدينة التاريخية التي يعود تأسيسها إلى سنة 18 هـــ»[3].

ويُلقب القلم الكوفي بالخط الكوفي المصحفي وذلك لكثرة اِستخدامه واِعتماده في كتابة المصاحف، «كما برزت أولى سماته منذ القرن الأول للهجرة، واِستمر اِستخدامه حتى نهاية القرن الرابع للهجري، وجرت عليه عدة تطورات، لأنّ أشكاله الأولى كانت خالية من التزويق والتزيين»[4].

---

[1] إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي، ص 101، وينظر: محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص 87–88، وينظر: مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية ص57.

[2] المرجع نفسه.

[3] يراجع، محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ص59.

[4] يراجع، إياد حسين عبد الله الحسيني، ص84.

يقول الدكتور محمد مرتاض أنّ الخط الكوفي قد رُتِبت أنواعه ترتيبا علميًا حسب ما جاء ووردَ في موسوعات الخط العربي.

وهي مرتبة على الشكل الآتي:

1- الخط الكوفي البسيط:

وهو الخط الكوفي الخالي من الزخارف الذي تنتهي قوائم الحروف فيه بشكل مثلث وقد شاع انتشاره في شرق وغرب العالم الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة حيث قام الخطاط في مستهل القرن الثالث الهجري بتطوير هذا الخط بتعريض نهايات حروفه أي (تفطيحها) بحيث تنتهي بشكل مثلث وهي المرحلة التي مهدت لزخرفته بأشكال نباتية، ومن أجمل الأمثلة على الخط الكوفي البسيط بعض دنانير (الخليفة هارون الرشيد) المحفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

2- الخط الكوفي المورق:

وقد ظهر في المرحلة التالية لتعريض قوائم حروف الخط الكوفي في الربع الأول من القرن الثالث الهجري، إذا فسح تعريض قاماتها المجال أمام الفنان لزخرفتها بعد ذلك بإنصاف مراوح نخيلية وأوراق نباتية متصلة بالحروف مباشرة وقد ساعد على هذا التطوير طبيعة حروف الخط الكوفي اليابس الجاف ذي الزوايا وقابليته للزخرفة.

3- الخط الكوفي المزهر:

وهو مرحلة تالية متطورة لظهور الخط الكوفي المورق، وفيه تنتهي قوائم الحروف بفروع نباتية ينبثق منها أنصاف مراوح وأوراق نباتية، وقد ظهر الخط الكوفي المزهر منذ الربع الثاني من القرن الثالث الهجري وتطور هذا النوع من الخط الكوفي بعد ذلك بحيث أصبح الخطاط ينهي حروفه بفروع نباتية حلزونية مثمرة ومن أجمل الأمثلة على ذلك الآيات القرآنية برواق القبلة بالجامع الأزهر.

4- الخط الكوفي المضفر (المجدول):

وهو من أنواع الخط الكوفي المتطور الذي أبدع في زخرفته الخطاط المسلم بعد أن قطع شوطًا كبيرًا في مجال تجويد الخط الكوفي لا سيما بعد أن احتل كل من الخط النسخ والخط الثلث مكان الصدارة منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي كخط رسمي تذكاري تسجل به نصوص العمائر والتحف الفنية والمصاحف وذلك على حساب الخط الكوفي الذي فقد منزلته كخط رسمي وأصبح

خطا زخرفيا يظهر على التحف الفنية وكثيرًا ما يوجد مع الخط النسخ والثلث جنبًا إلى جنب، وقد بذل الفنان جهدًا كبيرًا في زخرفة حروف الخط الكوفي حتى يستطيع أن ينافس تلك الخطوط الرسمية لذلك فقد لجأ الخطاط إلى تضفير حروف الكلمة الواحدة أو تضفير قامات كلمتين متجاورتين محققا بذلك أشكالاً زخرفية تنم عن خصب القريحة الفنية، وقد بولغ أحيانا في تضفير تلك الحروف إلى حد يصعب معه تميز العناصر الخطية من العناصر الزخرفية مما يؤدي إلى صعوبة قراءتها، ومن أجمل الأمثلة لهذا النوع من الخط النصوص الكتابية من آية الكرسي بالخط الكوفي المضفر بداخل قبة الإمام الشافعي[1].

5- الخط الكوفي الهندسي:

لم ينتشر الخط الكوفي ذو الأشكال الهندسية المختلفة على الآثار الإسلامية فيما قبل القرن السادس الهجري، بعد أن أصبح الخط الكوفي خطًا ثانويا زخرفيًا. ويتسم الخط الكوفي الهندسي بخطوطه الشديدة الاستقامة التي تؤلف أشكال زوايا قائمة، كما يتميز هذا النوع بأنّه يؤلف تكوينات زخرفية على هيئة مستطيل أو دائرة أو شكل سداسي أو ثماني أو يؤلف شكلا معماريا يشبه (الكابولي) وهو ما يعرف بالكوفي المعماري، كما عرف من أنواع الخط الكوفي الهندسي أيضا الكوفي المربع وهو يتألف من كلمات تنظم في أوضاع رأسية وأفقية متداخلة ومتشابكة بحيث تؤلف شكل مربع راعى فيه الخطاط أن تكون الحروف على شكل قنوات رأسية وأفقية بشكل زاوية قائمة تتساوى في سمكها مع سمك الفراغات المتروكة بينها والتي تتخذ هيئة القنوات الرأسية والأفقية نفسها وتتداخل وتتشابك مع الكتابات نفسها بحيث تؤلف في النهاية شكل مربع كبير مزخرف بكتابات عبارة عن قنوات بشكل زوايا قائمة مملوءة وأخرى فارغة متداخلة معها ومساوية لها في المساحة هي أرضية الكتابات وذلك في انسجام جميل ساعدت عليه طبيعة حروف الخط الكوفي ذات الزوايا القائمة[2].

مميزات الخط الكوفي:

---

[1] يراجع، مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، ص 53-54.

[2] يراجع: الخط العربي وتاريخه، محمد مرتاض، ص60.

ومن أهم المميزات التي يتسم بها «ضيق الفراغات بين الحروف وأجزائها حتى تكاد أجزاء الحرف الواحد تبدو ككتلة سوداء واحدة، بينما تتوزع العديد من الفراغات بين الكلمات ومقاطعها، وتحسب على أساس تداخلها وعلاقتها بأسطر الكتابة المتتالية»[1].

ملحوظة:

لدراسة الخطوط العربية يعتمد الباحثون أسسا للتحليل، وتلك الأسس تُحلل الخط وفق المكونات الفنية الآتية:

1- العلاقات بين العناصر.

أ- التطابق.

ب- التشابه.

2- التوافق.

3- التدرج.

4- التعارض.

6- الوحدة.

خلاصة الفصل الثاني:

خصصنا هذا الفصل لتطور الخط العربي بعد أن نشأ ووُلد عن الأنباط، فأخذ يتطور مبدئيًا ليُصبح ذا إعجام وفواصل، ثم أخذ ذلك التطور يستمر إلى عصور متتابعة، بدأ بصدر الإسلام ثم العصر الأموي الذي كان النقطة الأساسية للتطور، ثم جاء بعده العصر العباسي الذي يُعد أبهى العصور العربية وأجملها، ثم تبعهم الأيوبيون والفاطميون والممالك.

لم يتوقف التطور عند تلك العصور فحسب وإنّما مرّ على الفرس والعثمانيين حتى المغرب العربي والأندلس وشهدَ الخط العربي تطورًا تارةً ومحاكاة للكتابات تارة أخرى.

أمّا عن جمالية خطنا العربي فيُمكننا التحدث عنه ولا حرَجَ علينا، ومهما تكلمنا وتحدثنا وبحثنا لَن نَمَل من اِستمرارية البحث في خصائصه الجمالية، أمّا

[1] مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية، ص 55.

أنواعه فهي كثيرة وجميلة ومتنوعة وكل قلم مخصص لعمل خاص به، منه ما يُستعمل في كتابة الرسائل والمصاحف ومنه ما يُزخرف به في المساجد والأواني والعملات وحتى الملابس.

نتيجة عامة:

حظي الخط العربي باهتمام كبير عند العرب وفي صدر الإسلام خاصة لأنّه الوسيلة التي حفظ بها القرآن الكريم، وأخذ يزدهر شيئًا فشيئًا حينما اِتسعت الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، فنال الخط العربي عناية كبيرة من المسلمين، أسسوا له مدارس لتجويده وتحسينه، وبلاد الحجاز أحسن دليل على ذلك.

تنوعت خطوطه، وحظي كل قلم من أقلامه بدراسة متقنة وتحليل منطقي من طرف الباحثين والدارسين المختصين.

لم ينحصر في كونه أبجدية من أجل أخذ العلم به فقط، وإنّما عُيّن ووُضع بصفته فنا من الفنون الجميلة والرائعة للدولة الإسلامية العربية، زُخرفت به المساجد والمباني والمعادن والأواني وحتى الملابس والعملات النقدية.

يكفي خطنا العربي فخرًا واِعتزازا أنّه حُفظ في كتاب مُبين، ويكفينا عزة واِمتنانًا كوننا ننتمي له ونكتب به.

خاتمة

بعد محاولتنا تتبع ودراسة نشأة الخط العربي، والبحث عن أصله وتطوره، اِستخلصنا بعض النتائج ترتبت على الشكل الآتي:

1- اِنقسمت آراء العرب والباحثين إلى نظريتين شهيرتين، الأولى تقول إنّ الخط العربي توقيف من الله سبحانه وتعالى، والثانية تزعم بأنّه اِختراع واِجتهاد من طرف المختصين.

2- ظهور خط يُسمى بـــ «المسند»، عبارة عن أبجدية قديمة تطورت في جنوب الجزيرة العربية، وسُمي أبُو الأبجديات كذلك، وتميز بـــ 29 حرفًا، وعالج مواضيع عديدة ومتعددة في المجتمع اليمني القديم، كالنصوص التي تنظم الحياة العامة، والنصوص الدينية، والحروب وأخرى خاصة بالممتلكات وغيرها.

3- شهدت الكتابة قلمًا يسمى «النبطي»، وهذا الخط اِشتق من الكتابة الآرامية، لأنّ النبط قبائل عربية أغارت على البلاد آرامية فتحضرت بحضارتها واِتبعتها في ثقافتها.

مزج النبط في نقوشهم وكتاباتهم بين اللغة الآرامية واللغة العربية لكن هذا المزيج أدّى إلى انقسام الكتابة النبطية إلى قسمين، الأولى سميت بالنقوش لكونها مكتوبة بخط طريف متقن، والثانية سميت بالكتابات المخربشة لأنّها وجدت مكتوبة بخط قبيح. وهذا الاِنقسام جعل الشعب الأنباطي الجديد يسلك نحوًا واِتجاهًا مستقلاً متحررًا عن الآرامية ويذهب بخط خاص به وذلك الخط كان خطا عربيا محضا.

4- النبط هم أهل وأصل الخط العربي، وهذا ما شاهدناه في الفصل الأول من المذكرة.

وبعد النشأة خطونا خطوة مُغايرة، تمثلت في تطوير الخط العربي، فأخذنا الانطلاقة من (تطور الكتابة النبطية) ثم بدأنا نتوسع قليلاً ونشهد نقاطًا وأمورًا جديدة تلخصت في:

- تطور الخط العربي في صدر الإسلام، حيث شهدت الكتابة العربية آنذاك اِهتمامًا كبيرا في تطويرها، وذلك لشدة الحاجة إليها في تدوين القرآن الكريم، لكن كانت كتابة جافة خالية من الإعجام.

- جاء العصر الأموي بمثابة المنقذ للكتابة والخط العربي، فوضع لها إعجامًا وفواصلَ ونقاطًا، وذلك كان بأمر من سيدنا على رضي الله عنه، خوفًا من اللحن في القرآن الكريم.

- أمّا العصر العباسي كان بمثابة القالب الفني للخط العربي، حيث بَرَزَ فيه خطاطون جمّلوا وهذبُوا الخط، ثم لحق بالعصر العباسي العصر الأيوبي والفاطمي والممالك وحتى العثماني؛ وكلها اتخذ فيها خطنا العربي ثوبًا من ثياب التطور.

- الخط العربي غني بالخصائص الجمالية والفنية التي ميّزته عن سائر الخطوط والكتابات الأخرى.

- كان العنصر الأخير من البحث مخصصا للخطوط العربية وتنوعها وتمايزها عن بعضها البعض، مِن طريقة الكتابة إلى كيفية الاستعمال.

فالخط العربي بحرٌ واسعٌ وعميق، مهما درسنا وصممنا بحوثا أو حتى مجلدات فلا يمكننا الوصول إلى حقيقته، لأنّ جذوره التاريخية لا تسمح لنا بإعطائه كل الوفاء دون خلل أو نقص، وما يمكننا قوله هو أنّنا نأمل أن نكون قد قدمنا عرضا مقبولا وأوصلنا الفكرة ولو كانت بعبارات وأفكار قليلة وبسيطة، ونتمنى أننا قد أفدنا المتلقي ولو بالشيء القليل، ودائما يبقى التقييم الأخير لأساتذة المادة.

روى البخاري عن عمرو بن العاص أنّه سمع رسول الله يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**».

وهكذا نكون قد ختمنا كلامنا بخير الكلام، ونرجو أنّنا قد وُفقنا والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش.

✓ **الكتب والمقالات:**

1. أسامة اختيار، نجدة خماش، بحث عن النبط، الموسوعة العربية.
2. إلاء محمد الحياري، الخط العربي فن وعلم وإبداع، دار المجد للنشر والتوزيع، 2014، عمان الأردن.
3. إياد حسين عبد الله الحسيني، التكوين الفني للخط العربي وفق أسس التصميم، ط1، العراق، بغداد، 2002.
4. بن لباد رفيقة، الخطوط العربية في كتابة القرآن الكريم، الخط المغربي في شمال إفريقيا أنموذجًا –مجلة علوم اللغة العربية وأدابها- العدد 02.
5. خالد بشير، كاتب أردني، بين المسند والآرامي والنبطي، مجلة حفريات، الأردن، 2020/08/04.
6. خالد محمد المصري الخطاط، مرجع الطلاب في الخط العربي، دار الكتب العلمية، ط1، 1423هـ - 2002م، بيروت، لبنان.
7. خليل يحي نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مطبعة بول باريه حارة فايدة نمرة 8 عابدين، القاهرة، 1935.
8. رانيا الشيخي، نشأة الخط العربي بين التوقيف والتوفيق، 08 يونيو 2020، 09:20.
9. رطيل محمد، فنون وقواعد الكتابة العربية الإملاء والخط العربي، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، طبعة 2012، الإسكندرية.
10. سمير بني بكار، آراء الباحثون في الخط العربي، 15 أبريل 2021.
11. الصايغ سمير، الفن الإسلامي، قراءة تأملية في فلسفته وخصائصه الجمالية، دار المعرف، بيروت، لبنان، 1988.
12. صلاح الدين البعربي، بحث عن خط المسند، كلية الشرق الأوسط، مركز دراسات الوثائق والمحفوظات، "دبلوماتيك وقراءة الخط العربي"، إشراف الدكتور محمد العريمي 2013.

13. عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، مكتبة الدار العرابية للكاتب، ط1، القاهرة، 2008.

14. عبد الله أحمد مكياش، الكتابة العربية الجنوبية (كتابات المسند) أصلها وانتشارها وعلاقاتها بالكتابة الشمالية الغربية، كلية الأدب، جامعة عدن.

15. عرين طبيشات، مراحل تطور الخط العربي، الرئيسية، 07:45، 9أبريل 2017.

16. مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية منذ القرن الأوّل حتى أواخر القرن الثاني عسر للهجرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، يناير 1991.

17. محمد علي مادون، خط المسند، موسكو 2006، تاريخ النشر 2020/06/02، 13:40.

18. محمد عواد الحموز، الصعوبات الإملائية في الخط العربي، دروب للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 2011، عمان، الأردن.

19. محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة تلمسان

✓ **المواقع الإلكترونية**

20. تاريخ الخط العربي: https://www.bianat.com/ar/books/arabic-calligraphyculture/history-of-arabic-calligraphy

21. تاريخ الإستيطان النبطي: https://www.sasapost.com/kingdom-ofnabatea

22. مملكة الأنباط: https://www.ar.m.wikipedia.org/wiki

الملاحق

أولا: صور لنقوش خط المسند

ثانيا: صور لنقوش الكتابة النبطية

ثالثا: صور للخطوط العربية: 1- الخط الكوفي 2- الخط النسخي 3- خط الثلث

4-خط الديوان

أشهر الخطاطين[1]:

1- سلطان محمد نور:

تلميذ السلطان علي المشهدي، ومن آثاره المحفوظة بمتحف المتروبوليتان نسخة بديعة من مخطوطة (المنظومات الخمسة) بتاريخ 1524م.

2- الشاه محمود النيسابوري:

من أشهر الخطاطين في عهدي الشاه إسماعيل والشاه طهمسب، وهو الذي كتب نسخة (المنظومات الخمسة) بين سنتي 1539م – 1543م المشهورة والمحفوظة بالمتحف البريطاني، ويعد الخطاط المفضل عند الشاه إسماعيل.

3- مير عماد:

أقام مير عماد في أصفهان سنة 1599م حيث تولى نسخ مخطوطات كثيرة للشاه عباس، ونافسه في ذلك الخطاط علي رضا عباسي، وقد عظم شأن مير عماد في عهد الشاه عباس، وما زال الإيرانيون يذكرون اسمه حتى اليوم كلما تحدثوا عن الخط وأنواعه.

4- ياقوت المستعصمي (جمال الدين):

المتوفى سنة 1299م، كاتب وأديب من أهل بغداد، رومي الأصل، من مماليك المستعصم آخر خلفاء العباسيين، ومن آثاره (أسرار الحكمة) و (أخبار وأشعار).

5- محمد ابن مقلة:

المتوفى سنة 940م، وزير وشاعر عباسي، عينه للوزارة الخليفة المقتدر والقاهر والراضي، وهو ثالث ثلاثة من الخطاطين الذين وضعوا قواعد وضوابط لتنسيق الخط، ونظموا أهم طرز الخط على تباينها، والثلاثة هم (ياقوت المستعصمي وعلي بن هلال (المعروف بابن البواب) وابن مقلة).

---

[1]https://www.thnwya .com/ub/showthread.php?:196671,17:40,24/05/2022

6- الشيخ حمد الله:

المتوفى سنة 1520م، من أشهر الخطاطين العثمانيين وأعمقهم تأثيرًا، تتلمذ على يد خير الدين مراشي، واستدعاه السلطان بيازيد الثاني إلى اسطنبول بعد أن درس الخط على يديه، ويروى أن السلطان بيازيد كان يجلس ساعات طوالا حاملا محبرة الشيخ حمد الله وهو يكتب وسار الشيخ حمد الله على منوال ياقوت المستعصمي ولكنه طور أسلوبًا مستقلاً بقي يؤثر على الخطاطين الأتراك إلى أواخر القرن الحادي عشر الهجري، ودرب تلامذة كثيرين نبيهين، منهم محي الدين أماسي.

7- علي بن هلال المعروف بابن البواب:

واحد من أساطين هذا الفن ومبدعيه، أقام في بغداد وابتدع الخط الريحاني والمُحقق.

الفهرس

مقدمة	**أ- ب**
الفصل الأول : نشأة الخط العربي	
المبحث الأول: الخط العربي بين التوقيف والاختراع	**02**
المبحث الثاني: خط المسند	**06**
المبحث الثالث: الخط النبطي	**14**
المبحث الرابع: آراء الباحثين حول أصل الخط العربي	**20**
الفصل الثاني: تطور الخط العربي	
المبحث الأول: تطور الخط في صدر الإسلام والعصر الأموي والعصر العباسي	**26**
المبحث الثاني: تطور الخط في عهود الفاطميين والأيوبيين والعثمانيين	**33**
المبحث الثالث: جمالية الخط العربي	**37**
المبحث الرابع: نبذة تحليلية للخطوط العربية	**42**
خاتمة	**52**
قائمة المصادر والمراجع	**55**
ملحق	**58**
فهرس المحتويات	**63**
الملخص	**65**

الملخص

الملخّص:

الفنون العربية كثيرة ومتنوعة، ومن أهمّها فن الخط العربي، وهو مسألة من أهم المسائل التي بُذلت فيها جهود جبارة في الحضارة العربية الإسلامية، حيث عمل العلماء على إصلاحه ونزع الشوائب التي أخذت منه جماليته، وكان الاختلاف في أصل نشأته سببًا في اجتهاد الباحثين من أجل تصحيح وتحسين تلك الآراء والأفكار الهجينة حول الموضوع، وبعد ذلك التصحيح أصبح الخط العربي ذا مكانة مرموقة بين باقي الخطوط والكتابات.

الكلمات المفتاحية:

نشأة، تطور، الكتابة، العربية، المسند، النبطي.

Summary:

The arab arts are many and varied, the most important of which is the art of arabic calligraphy and it's one of the most important issues in which great efforts have been made in the arab–islamic civilization, where scientists worked on repairing it and removing the impurities that distorted it and took away it's aesthetics the difference in the origin of it's origin to correct and improve those hybrid opinions and ideas on the subject, and after that correction the arabic calligraphy became a prominent place among the rest of the fonts and writing.

Key Words:

The origin, the développement, writings, arabic predicate, nabataean, sect.